جامعة الزقازيق
كـــليـــة الآداب
قسم علم الاجتماع

تجليات النسوية فى الرواية المعاصرة
ثلاثية " أحلام مستغانمى" نموذجاً

اعداد
د. علياء عطيه محمد

ملخص :-

تهدف الدراسة إلى التركيز على أهم الأفكار الخاصة بالمرأة، وتسليط الضوء عليها من خلال التحليل الاجتماعى لمضمون ثلاثية "أحلام مستغانمى " وهى رواية "ذاكرة الجسد" ،ورواية "فوضى الحواس" ،ورواية "عابر سرير" ،ومن خلال الإستعانة بالنظرية النسوية أمكن التوصل لعدة نتائج منها :أن الرواية النسائية تمكنت من رصد قضايا المرأة وهمومها كالحب ،والجنس،والتمرد ،والأمومة ،والانجاب ،والزواج ،وتعدد الزوجات، كما ينطوى الأدب النسوى على إشكاليات عميقة مرتبطة بالمرأة – فى مقام أول ؛إنها المنتجة لهذا الأدب بغية التعبير عن رغبتها فى الوجود ،وإثبات ذاتها ، والدفاع عن هويتها المسلوبة، ورفض سلب كيانها ،كما حاولت البحث عن طرق تمكنها من التحرر والخلاص ،فجاء توسلها بالإبداع الأدبى كوسيلة من وسائل تحررها من كافة أنماط القهر المسلطة عليها ،والتعبير عن أحزانها والضغوطات التى تعرضت لها منذ وجودها إلى الآن، كما أشار تحليل مضمون الروايات الثلاثة إلى أنه بالرغم من نجاح المرأة وتقوفها إلا أن الرجل مازال ينظر إليها نظرة سلبية ،فهو يستغلها ،ويزيد من بؤسها ، ويحاصر أحلامها ،ويمارس عليها العنف ،ويقمع جسدها، ويشوه تمثلاتها لذاتها الإنسانية .

الكلمات الإفتتاحية : الأدب النسوى، أحلام مستغانمى ،ذاكرة الجسد ،فوضى الحواس ،عابر سرير.

مقدمة :-

لقد احتلت الرواية مكانة مرموقة بين الأنواع الأدبية المتنوعة لما تتميز به من قدرة كافية على الوصف والتحليل والتعبير عن حركة المجتمع والواقع الانسانى وما يصدر عنه من قضايا ومشاكل ، وعكسها من خلال الزمان والمكان والظروف الشخصية والاجتماعية ، فالرواية كجنس أدبى لم تقف موقف الشاهد الصامت من تلك القضايا ، ولم تقف مكتوف الأيدى تجاه هذا الاشتباك بما يتفق مع سبب وجودها ، فانصب اهتمامها الأساسى على رصد كل ما يحدث داخل المجتمع من مواقف وأحداث ، وما يعرض لأفراده من عقوبات ،وبالتالى أصبحت الرواية ديوان الحياة ، حيث تحولت من سرد تقليدى إلى سرد مفتوح على عوالم المرأة يعالج أوضاعها وقضاياها المتنوعة من الناحية الاجتماعية والثقافية والجنسية .

وقد مثلت المرأة محوراً أساسياً فى هذا النظام الاجتماعى ، فقد أثبتت حضوراً فعالاً فى صناعى التاريخ بشتى مراحله،وكانت رمزاً للمثابرة والشجاعة والتضحية ، ومعارضة للخوف والسيطرة والجهل،وظلت مخلصة لكفاحها مستكملة مشوارها لإثبات كيانها فى كافة ميادين

الإبداع الأدبى ، حيث عبرت عن قضاياها وهمومها والقيام بمعالجتها ، وبالتالى أصبحت المرأة أيقونة لايمكن الإستغناء عنها فى الأجناس الأدبية ولاسيما الرواية باعتبارها ذلك الكائن القادر على التعبير وإتخاذ القرارات السليمة ليكون بذلك مادة خامة يتسابق عليها الرجل الكاتب والمرأة الكاتبة .

أولاً : مشكلة البحث :-

استطاعت الرواية أن تواكب العديد من مستجدات الساحة الثقافية والأدبية ،وتبلورت النسوية كردة فعل لما تنطوى عليه من مبادئ وأيديولوجيات تجذب إليها المرأة أكثر من الرجل، لأن النسوية أتاحت الفرصة للمرأة أن تحاكى وتعكس واقعها المأزوم من الناحية الاجتماعية والسياسية والثقافية والإنسانية ،فالنسوية حركة عالمية واجهت المرأة من خلالها العالم الذكورى حيث تعلق فى ذهنها بالظلم والقهر الذى أوقعه مجتمعها عليها ؛لكونها خلقت أنثى ،فى حين رفع الظلم والقهر عن الذكر لأنه خلق ذكراً ،وبالتالى تحول الصراع الأنثوى الذكورى الذى نشأ منذ اللحظة التى خلق الله فيها الأنثى والذكر إلى أسلوب أدبى فكرى ، ولذلك حاولت المرأة أن تستغله لتجعل الهالة الذكورية نواة انطلاقها نحو تحرير مجتمعاتها من القهر والظلم الذى وقع عليهما على حد سواء ؛ لأنهما يعيشان فى مجتمع واحد ويتعرضان لنفس الظلم ،مستغلة الهيمنة الذكورية التى اتصفت بها المجتمعات العربية لتعلن ثورتها على الظلم الذكورى الذى رمزت به إلى كل ظلم يقع على الإنسان بغض النظر على جنسه البيولوجى سواء أكان ذكراً أم أنثى [١] .

لم تكن مكابدة المرأة ومعاناتها وليدة عصر حديث انما هى استمرار لسلالة متخلفة فى المجتمعات الغربية بصفة عامة والمجتمعات العربية بصفة خاصة، ففى فترة ما قبل الإسلام انتشرت ظاهرة وأد البنات فور ولادتهن أو بعدها بقليل ، حيث تعتبر الأنثى عاراً على أسرتها ، حتى جاء الإسلام فوضع حداً لهذه المهزلة ، ورفع من شأن المرأة ، كما جعلها قسيمة الرجل لها ما له من الحقوق، وعليها أيضاً من الواجبات ما يلائم طبيعتها وتكوينها .

وإزاء تلك الثقافة المتحيزة ضد المرأة والتى عملت على تهميشها والتقليل من شأنها، فقد أصرت المرأة على مجابهة هذه الثقافة من خلال مناضلتها لفترة طويلة للحصول على بعض الحقوق التى فقدتها داخل المجتمع الذكورى كحقها فى التعبير عن ذاتها ، والمشاركة فى مجال التعليم والعمل ، لتتبلور نسويات باحثات عن الحرية والعدالة من خلال الكتابة باعتبارها الطريقة المثلى لعرض أفكارهن ، وقد أدت بعض الكاتبات دوراً أساسياً فى البحث عن تراث أدبى بالمرأة خالى من الإقصاء والإهمال ،وكذلك محاولات لإعادة النظر فى العمل الأدبى بقراءته قراءة نسوية لهدم القراءة الذكورية التى عرضت صوراً سيئة للمرأة داخل العمل الأدبى ، بالإضافة إلى

ذلك إيضاح الفكر النسوى وذيوعه على المستوى العالمى أمثال كتاب سيمون دى بوافوار " الجنس الثانى" ،وكتاب فرجيينا وولف " غرفة تخص المرء وحده" (٢).

ثم إن شغف "أحلام مستغانمى"(*) بقضايا المرأة وهمومها ،حيث حاولت أن تجعل المرأة هى الأصل فى معظم رواياتها وأن لها حقاً كما للرجل حقه داخل المجتمع ، وجعلها قادرة على التحدى والمواجهة والإتيان بسلوكيات غير متوقعة من قبل الرجل الذى اعتاد أن يفرض سطوته على المرأة ،وذلك من خلال كسر جبروت الرجل وتسلطه على المرأة .

وبناء عليه ، يسعى البحث إلى تناول قضايا المرأة وهمومها فى الروايات المعاصرة ، وهى إشكالية تحاول الدراسة سبر أغوارها من خلال التحليل السوسيولوجى لثلاثية "أحلام مستغانمى " وهى رواية "ذاكرة الجسد" ،ورواية "فوضى الحواس" ،ورواية "عابر سرير".

سبب اختيار موضوع البحث:-

١- تجسيد روايات "أحلام مستغانمى " لأهم القضايا المرتبطة بالمرأة ، حيث رصدت أوجهاً متباينة لمأساتهاومعاناتها ، فقد تعرضت المرأة للتمييز والاضطهاد الذى أثر على حقوقها وحريتها بشكل سلبى.

(*)كاتبة وروائيّة جزائرية معاصرة ولدت فى ١٣ أبريل ١٩٥٣، من مواليد تونس، والدها محمد الشريف رمز من رموز الثورة الجزائرية العظيمة، وهي من أكثر الكتاب العرب نجاحًا في عصرها. وُلدت في المنفى خلال فترةٍ مليئةٍ بالاضطرابات في الجزائر. الخبرات التي اكتسبتها لكونها ابنة أستاذٍ للغة الفرنسية ومناضل في سبيل الحرية، كونت منظورها الثقافي وأمدتها الوحي لكتاباتها،وفي عام ١٩٦٢. عادت عائلة أحلام مستغانمي إلى الجزائر، حيث كان لوالدها دورٌ كبير في أول حكومةٍ جزائريةٍ حرة. وارتادت أحلام أول مدرسةٍ عربيةٍ في الجزائر، ومن ثم درست في ثانوية عائشة أم المؤمنين وتخرجت عام ١٩٧١. كانت هي وزملاؤها من أوائل المواطنين الجزائريين الذين تعلموا اللغة العربية بدلًا عن الفرنسية، ،وفي ١٩٧٠ عملت مقدمةً لبرنامج شعر كان يبث على الراديو الوطني لتتمكن من مساعدة أهلها ماديًا بعدما أُدخل والدها المشفى بسبب إصابته بانهيارٍ عصبي نتيجة حدوث محاولة انقلاب ، وإنتقلت إلى فرنسا في سبعينات القرن الماضي ،وحصلت على شهادة الدكتوراة من جامعة السوربون في الثمانينات،وفى عام ١٩٧٦، تزوجت من المؤرخ اللبناني جورجس الراسي والذي كان له اهتمامٌ كبير بالتاريخ الجزائري. أنجبا ثلاثة أبناء.أما من حيث ديانة أحلام مستغانمي ومعتقداتها وطائفتها الأصلية ، فقد ولدت لعائلة مسلمة، ومن أهم مؤلفاتها على مرفأ الأيام عام ١٩٧٣،وكتابة في لحظة عري،وذاكرة الجسد ،وفوضى الحواس ١٩٩٧، وعابر سبيل ٢٠٠٣،و نسيان دوت كوم ٢٠٠٩ ،وقلوبهم معنا قنابلهم علينا ٢٠٠٩ ،والأسود يليق بيك ٢٠١٢،وديوان عليك اللهفة ٢٠١٤ ، كما حصلت على العديد من الجوائز أهمها حصلت على درع بيروت من محافظ بيروت عام ٢٠٠٩ عن كتابها " نسيان كم " ،واختيرت من قبل مجلة فوربس كأكثر كاتبة عربية تخطت مبيعات أعمالها ٢ مليون ، وتلقت درع مؤسسة الجمار للإبداع العربي في طرابلس بليبيا عام ٢٠٠٧ واختيرت أيضا كأفضل شخصية جزائرية لمجلة الأخبار الجزائرية عام ٢٠٠٧ ،وحصلت على وسام الشرف من الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة عام ٢٠٠٦ ،وحصلت على وسام التقدير من مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس عام ٢٠٠٦، وحصلت على وسام من لجنة رواد لبنان عام ٢٠٠٤،وحصلت على جائزة جورج طربيه للثقافة والإبداع عام ١٩٩٩ في لبنان ،وحصلت على جائزة نجيب محفوظ عن روايتها " ذاكرة الجسد" في عام ١٩٩٨ ،ونالت جائزة مؤسسة نور للإبداع النسائي عام ١٩٩٦ في القاهرة ، وقد ترجمت مؤلفاتها ورواياتها إلى عدة لغات، كما أدخلت في مناهج المدارس الثانوية والجامعية حول العالم ، بالإضافة إلى ما سبق، عملت أحلام مستغانمي أستاذة زائرة في عددٍ من الجامعات العالمية مثل جامعة بيروت، ومونبيليه وليون، والسوربون، حيث ألقت محاضراتها أمام مئات الطلاب.

٢- حضور المرأة فى روايات "أحلام مستغانمى " بشكل صريح.
٣- الرغبة فى معرفة كيفية تصوير "أحلام مستغانمى " للمرأة فى أعمالها الأدبية.

ثانياً : أهمية البحث :-

١. الأهمية العلمية :-

تمثل أهمية هذا البحث في الكشف عن أهم القضايا المتعلقة بالمرأة ، وإبراز إشكالياتها الاجتماعية ،فهى قضايا متعددة ومتنوعة ولها أبعاد مختلفة ،وذلك من خلال توظيف النظريات والمناهج السوسيولوجية لدراسة ثلاثية "أحلام مستغانمى .

٢. الأهمية المجتمعية :-

يسعى البحث إلى إلقاء الضوء على أهم الأفكار والأيديولوجيات من جانب المرأة ، وحضورها فى الخطاب الأدبى النسوى ، وتوضيح مدى شغف "أحلام مستغانمى " بالمرأة والمكانة التى تحلتها فى عقلها ووجدانها ، وذلك من خلال التحليل الاجتماعى لثلاثية "أحلام مستغانمى" ، وهى رواية "ذاكرة الجسد" ،ورواية "فوضى الحواس" ،ورواية "عابر سرير" .

ثالثاً : أهداف البحث :-

١- الكشف على أهم الأفكار النسوية فى ثلاثية "أحلام مستغانمى".
٢- التعرف على طبيعة العلاقة بين الأدب النسوى وقدرته على التعبير عن قضايا المرأة .
٣- التعرف على الكيفية التى رصدت بها ثلاثية "أحلام مستغانمى" عن قضايا المرأة وآلامها.

رابعاً : تساؤلات البحث :-

١- ما أهم الأفكار النسوية التى عبرت عنها ثلاثية "أحلام مستغانمى" ؟
٢- كيف صورت ثلاثية "أحلام مستغانمى" طبيعة العلاقة بين الأدب النسوى والقضايا المتعلقة بالمرأة ؟
٣- هل استطاعت ثلاثية "أحلام مستغانمى" أن تقدم صورة دقيقة عن قضايا المرأة وأحلامها؟

خامساً : مفاهيم البحث :-

١- مفهوم النسوية :-

تعددت البنى المفهومية لهذا المصطلح تبعاً للسياق الذى يرد فيه ، فيمكن أن يشير إلى ما يميز المرأة عن الرجل من ناحية الطبيعة والأدوار التى يقوم بها كل منهما ، كما أنه يشير إلى الحركات النسائية الاجتماعية التى تهدف إلى حصول النساء على حقوقهن ، وعلى مراكز

اجتماعية متكافئة ومتساوية مع مراكز الرجال فى جميع مجالات الحياة ابتداء من الأسرة مروراً بالسياسية وانتهاء بالعمل والفنون ، وثمة مدخل آخر يعرف الحركة النسائية ويرى أنها تهدف إلى تفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية التى تشارك النساء فى تشكيلها ، واضعاً المرأة فى مكانها الطبيعى والحقيقي وغير منكر ولا جاحد لدورها (٣).

والنسوية بشكل عام هى " كل جهد نظرى أو عملى يهدف إلى مراجعة واستجواب أو نقد أو تعديل النظام السائد فى البنيات الاجتماعية ،الذى يجعل الرجل هو المركز، وهو الإنسان . والمرأة جنسا ثانيا أو آخر فى منزلة أدنى ، فتفرض عليها حدود وقيود وتمنع عنها إمكانات للنماء والعطاء فقط لأنها إمرأة . ومن ناحية أخرى تبخس خبرات وسمات فقط لأنها أنثى لتبدو الحضارة فى شتى مناحيها إنجازاً ذكوريا خالصا يؤكد سلطة الرجل وتبعية أوهامشية المرأة" (٤).

تعرف " مارى ايجلتون" مصطلح النسوية (Feminism) بأنه مصطلح يدل على الحركة النسوية ،والفكر النسوى وإبداعاته ونظرياته، وعلى الأدب النسوى . وترى ايجلتون أن الإبداع النسائى إنما هو فكر يعمد إلى دراسة تاريخ المرأة وإلى تأكيد اختلافها عن القوالب التقليدية التى توضع فيها ، وإلى إبراز صورتها ، وإلى المطالبة بإعادة التفكير جذرياً فى جميع بنيان المجتمع السائد ، وفى ضوء الشروط الاجتماعية والطبقية والثقافية والعرقية المتباينة "(٥).

تعرف "سارة جامبل" النسوية فى كتابها "النسوية ومابعد النسوية" بأنها : "حركة سعت إلى تغيير المواقف من المرأة كامرأة قبل تغيير الظروف القائمة، وما تتعرض إليه النساء من إجحاف كمواطنات على المستويات القانونية والحقوقية فى العمل والتشارك في السلطة السياسية والمدنية "(٦).

كما عرفت "إلين ميسر" النسوية Feminism، بأنها "لغة جديدة لفهم وشرح العلاقة بين المرأة والثقافة"(٧).

وهناك من يرى أن النسوية هى " دراسة النساء والحركة النسائية ليس بوصفها موضوعا من موضوعات المعرفة ، ولكن بوصفه ذاتاً قادرة على المعرفة" (٨).

وترى " كارول كويلين " Carol Quillen أن مفهوم النسوية " يرتكز على وجود أسس وقدرات إنسانية يجب توافرها واحترامها وتطويرها عالميا، مثل الالتزام بالمساواة الاجتماعية والسياسية للمرأة في إطار العدالة العالمية المناهضة لكافة أشكال القهر السياسي والاستغلال الاقتصادي. فالنسويات يعطين قيمة للخبرة الشخصية ويرفضن التفرقة التقليدية بين الذاتية والموضوعية في إطار أن "كل ما هو خاص هو سياسي" Personal is Politics، فالنظم والبنى الاجتماعية سواء تعلقت بالأسرة أو بالاقتصاد أو بالمرأة لها دلالات سياسية" (٩).

وهناك من يرى أن النسوية هى " الإعتقاد بأن المرأة لا تعامل على قدم المساواة لأى سبب سوى كونها امراة فى المجتمع الذى ينظم شئونه ويحدد أولوياته حسب رؤية الرجل

واهتماماته ، وتعتبر النسوية حركة متعددة الجوانب من الناحية الثقافية والتاريخية . وقد حظيت أهدافها بتأييد فى شتى أنحاء العالم . ويمكن تقييم مدى فعالية النسوية إذا ما نظرنا إلى الخطاب النسوى ومدى تفعيله فى التفكير على مستوى الحياة اليومية "(١٠).

وهناك من يرى أن النسوية :" الأفكار والحركات التى تتخذ من تحرير المرأة ، أو تحسين أوضاعها بعمق هدفها الأصلى "(١١).

ويتمثل التعريف الإجرائى للنسوية: مجموعة من الأيديولوجيات تهدف إلى المطالبة بحقوق المرأة، وحماية كيانها وهويتها،وإثبات قدرتها فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية .

٢- مفهوم الأدب النسوى :-

يعرف"نور الدين الجريبي"الأدب النسوى بقوله:"إنه أدب ينخرط فى الحركة النسائية الهادفة إلى النضال من أجل تحسين وضع المرأة فى المجتمع "(١٢).

ترى "آلين شوالتر" أن الأدب النسوى هو"الذى يكشف بوضوح عن اهتمامات المرأة بذاتها "(١٣).

يرى "حسام الخطيب" أن مصطلح الأدب النسائي يتحدد من خلال التصنيف الجنسي وليس من خلال المضمون وطريقة المعالجة، وحسب رأيه ،فإن هذا المصطلح لن يكتب مشروعيته النقدية إلا إذا كان يعكس المشكلات الخاصة بالمرأة "(١٤).

وجاءت " يمنى العيد" لتوضيح مفهوم الأدب النسوى بقولها :"أميل إلى الاعتقاد بأن المصطلح الأدب النسائى يفيد عن معنى الاهتمام وإعادة الاعتبار إلى نتاج المرأة العربية الأدبى وليس عن مفهوم ثنائى أنثوى – ذكورى وضع هذا النتاج فى علاقة اختلاف ضدى – تناقضى ، مع نتاج الرجل الأدبى "(١٥).

التعريف الاجرائى للأدب النسوى : هو الأدب الذى يعكس قضايا المرأة واهتمامها بذاتها ضمن المجتمع الذكوري الذي يتصف بانعدام المساواة بين الجنسين.

٣- الرواية :-

الرواية كمفهوم اصطلاحى هى " سرد نثرى خيالى طويل تعالج عدة نقاط فى وقت واحد مع اختلاف كل نقطة على الأخرى وذلك باختلاف نوع الرواية"(١٦).

يقول "محمد حسن عبدالله" أن الرواية :" كفن نثرى – قد خاضت كثيراً من المعارك ، وشاركت فى كثير من الأزمات والتحمت مع الواقع منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وتستمد من الواقع ، وتجد ذاتها من نوازع الإنسان المتعددة ولم تقترب من الواقعية إلا عندما اهتمت بالمرأة وبحريتها وبالأمور التى تتعلق بها كالزواج والعمل "(١٧).

كما تعرف الرواية على "أنها شكل من أشكال القصة إلا أنها تختلف عنها من حيث مداها الزمنى وغزارة أحداثها ، وإبراز صورة كاملة لنفسية أبطالها"(١٨).

ويعرف "طه الوادى" الرواية بأنها:" شكل يتخذه الأدباء وسيلة للتعبير عن الواقع ، أو هيكلاً لتصوير ما يرغبون سلفاً تصويره ، من أشخاص ، وأحداث ، ومواقف ، وانفعالات ، أو ظواهر بشرية وطبيعية وإنسانية"(١٩).

وهناك من يرى أن مصطلح الرواية يرتبط "بنقل الخبر والتوصيل والحكى والإستظهار"(٢٠).

ونقلاً عن "عاطف أحمد فؤاد" يعرفها "جورج لوكاتش" :"بأنها الجنس الأدبى القادر على الكشف عن تناقضات المجتمع ، وعن إدراك ما هونمطى فى العصر الحديث "(٢١).

ومن تعريفات الرواية أنها :"نوع من الأنواع الأدب ، تظل – فضلاً عن الحلم– تعكس الحاضر الواقع (وليس الحلم المجرد) ليمكن من الوصول إلى شكل من أشكال الوعى (الممكن) ، وليس الهروب من مرآة الخيال والأحلام حتى ولو كانت سحرية "(٢٢).

التعريف الإجرائى للرواية:هى قصة خيالية ونثرية طويلة ،تضم الكثير من الشخصيات الروائية التى تختلف فى صفاتها وانفعالاتها ، وتجسد المواقف والأحداث والتجارب البشرية داخل مجتمع معين.

سادساً: التوجه النظرى للبحث :-

لقد اعتمد البحث على النظرية النسوية:-

لقد تبلورت النظرية النسوية إثر انطلاق الحركات النسوية الغربية ، مطلع القرن العشرين ، المنادية بحرية المرأة ، ورفض طمس هويتها وذاتها ، وانتهاك كيانها ، ولقد أرادت هذه النظرية إعادة حق الهوية النسائية المغيبة ، وقد برز نتيجة ما يعرف بالأدب النسوى ؛ أى الأدب الذى يولى اهتماماً كبيراً بقضايا المرأة ، فالمهمة الأساسية لهذا الأدب هو إعطاء المرأة مكانة داخل المجتمع ، والإعتراف بجبروتها على تولى مناصب استمرت – ولعصور – حكراً على الرجال يستأثرون بها لذاتهم دونهن ، وكتابة نسوية تأبى كتابة الذكور ،وسلطة الرجل ،ونفسية الأبوة (٢٣).

ولذلك كانت الفكرة الأساسية لهذه النظرية تتمثل فى تفكيك السلطة الأبوية الذى أسس لفكرة الأنا والآخر بأشكالها المختلفة ،وأكد نظام السيطرة الذاتية،وتحييد الآخر،ونتج عنه نظام تواصلى قائم على سلم هرمى من الأعلى إلى الأدنى والعكس،وقد مثل الرجل دور المرسل من أعلى،أما المرأة مثلت دور المستقبل من أدنى،ومن هنا تبلورت فكرة التمييز الجنوسى القائم على التمييز التاريخى والاجتماعى والثقافى مما أنتج عنه ثورة الفكر النسوى ، والدعوات إلى تحرير المرأة من القيود والحواجز ، ومساواتها بالرجل ، كما تعمل على إنشاء سلطة موازية للسلطة الأبوية ، ولكنها لاتعمل على إنهياره واختراقه ، حتى تتناسب مع إحتياجات الواقع بطريقة تعيد

بها الحقوق للنساء ، وتشييع روح المساواة بين الجنسين ، وإنما يعمل على عملية الحلول محله ، كسلطة مسيطرة بديلة تهدف إلى إنشاء نزعة صراع بين الرجل والمرأة [٢٤].

وقد ارتكزت نقطة البداية بالنسبة للفكر النسوى على أساس وجود خبرات مشابهة بين جميع النساء ،وهذه الخبرات مبنية على الإذلال والإهانة الذى يتعرض له فى المجتمعات المتباينة بسبب النوع ، ثم حدث تحول جوهرى فى الإتجاهات العامة وفى المفاهيم النسوية ، حيث عارضت مجموعات من النساء الافتراض التى يكمن فى أن جميع النساء لهن نفس التجارب والخبرات المؤلمة ، كما قامت النسويات المنتميات إلى ثقافات العالم المتنوعة خارج الغرب برفض التعريفات الخاصة بإمراة العالم الثالث المتداولة فى الأدب النسوى الغربى ، حتى تصبح تلك المرأة كياناً صلباً فى المكان والزمان وبحكم انتسابها إلى العالم الثالث فهى تعيش حالة الضحية بشكل دائم [٢٥].

ولكن أجمعت كل التيارات النسوية على أن التفرقة والتمييز مبنى على المفاهيم الثقافية التى تصوغها المجتمعات وهى ليست جبرية بل يمكن تغييرها لتحقيق المماثلة بين جميع المجموعات الاجتماعية [٢٦]. ، وعلى هذا الأساس تتضمن النظرية النسوية فكرة رئيسية هى "أن العلاقات بين الجنسين تعد مكوناً جوهرياً من مكونات الحياة الاجتماعية حيث لم تركز النظرية النسوية على حياة النساء فقط بل تمد اهتمامها إلى حياة الرجال ، وتعقد المقارنات بين حياة كل من الجنسين بغرض الوصول إلى نتائج تفيد فى تنظيم أساليب التفاعل الاجتماعى بينهما "[٢٧].

وكاتجاهٍ عام فإنّ مصطلح النسويّة يشير إلى التفرقة بين الذكر والأنثى على أساس الدور الاجتماعيّ لكلٍّ منهمَا .وتنطلق الكتابات النسويّة من عدّة أسس، هي[٢٨]:-

١- النساء فئة لا يمكن تجاهلها وحماية حقوق الإنسان تمثل قاعدة لنسوية تركز على المرأة.

٢- التركيز على الدين والعرق والثقافة يشكل تهديدا لوحدة النساء في العالم.

٣- الليبرالية هي اللغة السياسية المثالية.

٤- تهتم النظرية النسوية باللغة، لأنها وسيلة ضرورية للتأكيدعلى دور ومكانة المرأة داخل المنظومة الثقافية.

٥- النسوية هي وعي فكري ومعرفي وحضارى وهي تختلف عن النسائية التي هي وعي بالجنس وبالبيولوجيا Feminist Versus Womanist.

وفيما يتعلق باهتمام الاتجاه النسوى بدراسة الأدب ، فقد قسمت شوالتر النقد النسائى إلى :النقد النسوى feminist critique ويهتم بالمرأة باعتبارها قارئة والطريقة التى تعبر بها القارئة عن فهم النص وكذلك يفحص الفروض الأيديولوجية للظاهرة الأدبية،أما نقاد الأدب النسائى Cynocritics فيهتمون بالمرأة باعتبارها كاتبة للظاهرة الأدبية، والمشكلات الخاصة بالإبداع

النسائى ولغته . وترى شوالتر أن كلا النوعين ينتمى إلى علم الاجتماع وعلم الجمال الماركسى[٢٩].

وعلى الرغم أن الاتجاه النسوى يتخذ أنماطاً متنوعة فقد حددت (Daly and Cheseny-Linda) خمس أشياء جوهرية فى الاتجاه النسوى تميزه عن غيره من الأنماط الأخرى من النظريات الاجتماعية [٣٠].

١- لا يعتبر النوع (Gender) حقيقة فطرية فحسب ، ولكن نتاجاً تاريخياً اجتماعياً وثقافياً معقداً ، وبالرغم من التصاقه بالاختلاف البيولوجى للجنس إلا أنه لا يعتمد عليه بسهولة.

٢- يؤدى النوع وعلاقاته دوراً رئيسياً فى تنظيم الواقع الاجتماعى ، وكذلك التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية .

٣- على الرغم من اختلاف علاقات النوع وأبنية الذكورة والأنوثة فإنها تنصب على تدعيم فكرة أساسية وهى تقدم الرجل على المرأة وهيمنته عليها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

٤- ترى أنساق المعرفة التى ترصد أيديولوجيات الرجل عن العالم الاجتماعى والطبيعى إلى أن إنتاج المعرفة له علاقة وطيدة بالنوع .

٥- ينبغى أن يكون النساء المحور الجوهرى للبحث الفكرى ، وألا يصبح وضعهن مهملاً وغير مرئي بالنسبة للرجال.

تستفيد الدراسة الراهنة من هذه النظرية فى رصد وتحليل القضايا الخاصة بالمرأة ،والمشكلات التى تواجهها ،وذلك من خلال تحليل ثلاثية "أحلام مستغانمى" ،إذ أن ما تصنعه المرأة ليس الهدف منه المقارنة بين الرجل والمرأة ، بل هى تهدف إلى إبراز إبداعها وتجسيده على أرض الواقع، فالمرأة أضحت تهدف إلى المشاركة فى شتى المجالات الحياتية ،كما تسعى إلى تحقيق ذاتها بعيداً عن الرجل الذى يعطى دائماً الأولوية إلى ذاته ، ولاسيما أن نظرة الرجل إلى المرأة سلبية ،فلقد تعرضت المرأة للعديد من أشكال الظلم والقهر التى أثرت عليها من الناحية النفسية والجسدية.

سابعاً: البناء المنهجى للبحث :-

يعتبر منهج تحليل المضمون أنسب المناهج التى تتلاءم مع طبيعة الدراسة وهدفها ، كما أنه يساعد على تحليل النصوص الروائية باعتبارها "بنيات دلالية" للكشف عن أهم القضايا التى عبرت عنها النماذج الروائية النسائية .

الهدف من التحليل :-

يهدف هذا التحليل إلى التعرف على أهم الأفكار الخاصة بالمرأة ،وذلك عن طريق تحليل مضمون ثلاثية "أحلام مستغانمى ".

أما عن فئات التحليل :-

فقد اختارت الباحثة فئة (الموضوع) الذى تدور حوله الروايات ، والموضوع هو أهم الأيديولوجيات التى تتعلق بالمرأة فى ثلاثية "أحلام مستغانمى" ، والعقبات التى تعترض طريقها ، وكيف تغلبت عليها.

أما وحدات التحليل :-

لقد اختارت الباحثة وحدة (الجملة) و(الكلمة) التى تنطوى على فكرة معينة أو تؤدى معنى مفهوماً.

أما عينة التحليل :-

اشتملت هذه العينة على ثلاث روايات : ذاكرة الجسد١٩٣٩ ، فوضى الحواس ١٩٩٧ ، عابر سرير ٢٠٠٣.

ثامناً : الدراسات السابقة :-

١- هناء إبراهيم رزق بعنوان :"المرأة وصراع الأدوار فى المجتمع المصرى: دراسة فى علم اجتماع الأدب ،٢٠٠٦"(٣١).

هدفت الدراسة إلى التعرف على الكيفية التى استطاعت بها الرواية النسائية المصرية تناول أحوال المجتمع المصرى والتغيرات التى طرأت عليه منذ نهاية الستينيات ، والتعرف على طبيعة أدوار المرأة والصراع بين هذه الأدوار والعوامل التى أثرت فى هذا الصراع ، واعتمدت الدراسة على النظرية النسوية، كما استعانت بالمنهج التاريخى والمقابلة وطريقة تحليل المضمون لعينة من الروايات قوامها أربع روايات، وهى رواية (مذكرات طبيبة) لنوال السعداوى ،ورواية (ترويض الرجل) لسكينة فؤاد ،ورواية (الإمضاء سلوى) لعائشة أبو النور ،و رواية (دارية) لسحر الموجى.

وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها أن الرواية النسائية كانت محاولة لتأكيد هدف المرأة فى إعادة التوازن سواء أكان فى علاقتها بالرجل ،أوفى حياتها عن طريق القيام بالأدوار المتنوعة ، فقد تبين من خلال الروايات ظهور الدور الحديث للمرأة الذى منعت منه منذ فترة طويلة متمثلاً دورها فى العمل والعلم ، وبالتالى أضحى الدور المهنى فى مقابل الدور الأسرى ، مما أدى إلى بلورة الصراع بين دور المرأة(كزوجة وأم) ودوها خارج المنزل ، وهو ما انعكس فى مكابدتها لإحداث توازن بين الناحيتين ".

٢- همت بسيونى عبد العزيز: بعنوان ، "الأدب النسوى ومشاركة المرأة فى المجال العام :دراسة اجتماعية لبعض النماذج الروائية النسائية المصرية ، ٢٠١٦"(٣٢).

هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين الأدب النسوى وقدرته على التعبير عن مشاركة المرأة فى المجال العام من خلال التطبيق على عينة من أعمال الروائيات المصريات بواقع ثلاث روايات تعكس تطور القضية فى الفترات التاريخية المتتالية، وهذه الروايات هى رواية" الباب المفتوح "للطيفة الزيات، ورواية" خديجة وسوسن" لرضوى عاشور ،و رواية " دارية" لسحر الموجى، واستعانت الدراسة ببعض مقولات كل من: النظرية النسوية فى دراستها واهتمامها بالأدب وبعض مقولات هابرماس فيما يتعلق بالمجال العام ومدخل التاريخية الحديثة فى تناوله للنصوص الأدبية ، كما استعانت الدراسة بتحليل المضمون الكيفى .

وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج وهى أن الرواية النسائية تمكنت من رصد الآليات التى من خلالها قصر دور المرأة فى المجال الخاص ، كما أكدت النتائج أن هناك علاقة وطيدة بين مشاركة المرأة فى المجال العام وبين التحولات المتباينة التى شهدها المجتمع المصرى ، كما تبين من تحليل مضمون الروايات الثلاثة إلى أنه بالرغم من إنتصار المرأة فى خروجها للمجال العام ، إلا أن هناك العديد من الصعوبات التى تحتج طريقها. كما اتخذت الروايات الثلاثة الحرية كقضية جوهرية حاولن من خلالها إبراز التناقضات الواضحة والباطنة المرتبطة بالكيفية التى يتعامل بها المجتمع مع المرأة ومشاركتها فى المجال العام.

٣- نادية بن طاجين، بوزيدة عبد القادر ، تمثلات العنف الأبوي في الرواية النسوية العربية المعاصرة ، ٢٠٢٠(٣٣).

هدفت الدراسة إلى التعرف على ماهية العنف الموجه ضد المرأة وطبيعته وأنواعه ومصادره ، والتعرف على دور الفوارق الحياتية والاجتماعية والثقافية فى تباين حدة العنف أو تمازجه ، والتعرف على مدى قدرة لغة الكتابة العربية فى رصدها لهذا العنف، وذلك فى ثلاثية الكاتبة" فضيلة الفاروق " (تاء الخجل،مزاج مراهقة، اكتشاف الشهوة) ورواية(إني وضعتها أنثى) للكاتبة " سعيدة تاقي" . أما فيما يخص المشرق العربي، فقد اخترنا كلا من رواية: (كبرت ونسيت أنسى /بثينة العيسي) و(لم نعد جواري لكم/سحر خليفة).

وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج وهى أن المرأة العربية تعرضت لجميع أنواع العنف الجسدى والنفسى ، فالهيبة التى يمتلكها الرجل تدفعه إلى إيذاء المرأة وممارسة العنف عليها ، وذلك بسبب تصديق الرجل بأحقيته فى السيطرة والهيمنة ، وعدم معرفة قيمة المرأة وتجاهل دورها فى بناء المجتمع واستقراره ، كما توصلت الدراسة إلى أن العنف ضد المرأة هو عنف واحد فى كل الأقطار العربية مع وجود بعض الاختلافات البسيطة ، وأيضاً توصلت الدراسة إلى أن المرأة العربية ساهمت فى تقويه السلطة الأبوية فى معظم النصوص السردية ولاسيما المرأة النمطية التى أخفقت فى إثبات هويتها الأنثوية ، واستسلمت لسيطرة الرجل عليها ، حتى أصبحت تحارب

حرية المرأة ،وأخيراً توصلت الدراسة إلى تركيز الكاتبة العربية على الفئة الشابة من النساء التى سعت إلى كسر القيود والحواجز من أجل تحقيق حياة كريمة تصون لها حقوقها الإنسانية.

٤- أسماء الصمايرية ، قضايا المرأة فى الأدب النسوى وصراعاتها :دراسة تطبيقية على رواية الأسود يليق بك لأحلام مستغانمى ،٢٠٢١(٣٤).

هدفت الدراسة إلى التعرف أهم القضايا التى طرحتها المرأة فى سبيل كفاحها من أجل الكينونة ، والتعرف على الأنماط التى اتخذتها صراعات المرأة فى رواية "الأسود يليف بك" لأحلام مستغانمى ، والكشف عن الكيفية التى استطاعت تحررها من القيود التى واجهتها ، واستعانت الدراسة بالنظرية النسوية .

وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها أن الكتابة النسوية قد وقفت ضد المجتمع الذكورى الذى أكدته الأنساق الثقافية ،والاجتماعية وغيرها ، ولذلك سعت للخروج من دائرة النظام الأبوى ، وسيطرة التقاليد والعادات ، والإفلات من القيود التى جعلتها مسيرة ، مثلما جسد الأدب النسوى هجوماً وثورة ضد كافة أنماط التهميس الخاصة بامرأة ، وأسلوب لإثبات الذات والوجود ، وأيضاً ثورة ضد المرأة التى رسخت فيها العادات والأعراف تلك النظرة المتدنية لنفسها أم الرجل ، ولذلك تنادى رواية "الأسود يليق بك" إلى مخاطبة دواخلها ؛ لإكتشاف ذاتها ، والبحث عن نقاط القوة المخفية فيها وإخراجها ، ولتؤكد لها أن الرجل سعى إلى محو شخصيتها بسبب قلة معرفتها وتجاربها فى الحياة ، ولإخضاعها طيلة الأومنة السابقة لهذا التسلط على حريتها ، الطامس لذاتها ، ومن خلال الكتابة أثبت" أحلام مستغانمى " أن قوة الكلمة فى جميع الأحوال تعد إعلان عصيان عن زمن ألزمت فيه المرأة زاوية منسية خلفها فيها الرجل ليسير قدماً دونها .

٥- عاليه مبارك حسين علي ، تشكيل صورة المرأة فى روايات نجيب محفوظ:(ميرامار ، زقاق المدق، سمارة الأمير) نموذجاً ، ٢٠٢٢(٣٥).

هدفت الدراسة إلى الكشف عن قضايا المرأة ومعاناتها داخل المجتمع ، وإبراز الصور المتنوعة التى رصدها "نجيب محفوظ" للمرأة فى رواياته(ميرامار ، زقاق المدق، سمارة الأمير) ، والتعرف على طبيعة العلاقة بين المرأة والقيم والعادات الاجتماعية داخل المجتمع واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلى مع الإستعانة بمعطيات المنهج الاجتماعى،لأن فهم النصوص مرتبط بالسياق الاجتماعى ، واستعانت بالأسلوب التقريرى ، والأسلوب الاستنباطى ، والأسلوب التصويرى .

وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج وهى أن الكاتب " نجيب محفوظ" قدم صوراً متباينة للمرأة فى رواياته " (ميرامار ، زقاق المدق، سمارة الأمير) ، فقد رصد عدة قضايا تظهر معاناتها ، كقضية المرأة العاملة ، وقضية الدعارة والبغاء ، وقضية إكراه الفتاة على الزواج ،كما

أوضح " نجيب محفوظ" نماذج من النساء لها دلالات متنوعة،وكانت تعبر عن شخصيات متفردة، كما فسر" نجيب محفوظ" التطور الذى طرأ على شخصية المرأة من ناحية العمل والأيديولوجية من خلال تقديمة لتجارب إنسانية بأسلوب فنى صريح ،وتوصلت الدراسة إلى الصورة المتعددة للمرأة ، والمتمثلة فى المرأة الأم ، الزوجة ، العاملة ، المومس ، العشيقة، وبناء عليه نجد صورة المرأة انعكاساً لواقع المرأة داخل المجتمع ،وأيضاً رصد " نجيب محفوظ" الرجل بصورة سلبية ، من خلال استغلال المرأة وقهرها وإذلالها ، كما عكست روايات "نجيب محفوظ" رؤيته الاجتماعية والفكرية من خلال النصوص التى تنطوى على قضايا المرأة داخل المجتمع، وأخيراً استخدم "نجيب محفوظ" الأسلوب التقريرى ، والأسلوب الاستنباطى ، والأسلوب التصويرى فى تشكيل صورة المرأة ، وأيضاً نجح فى استخدام سمات كل أسلوب لبلورة رؤيته الفنية ورسم شخصياته الروائية .

من هذا العرض المتعلق بالدراسات السابقة يمكن الوقوف على مايلى :-

١- التأكيد على الدور الذى يؤديه الأدب النسائى فى رصد أوجه الخلل التى شهدها المجتمع بشكل عام سواء من ناحية العلاقة بين الرجل والمرأة أو المرتبطة بأحوال المرأة وأوضاعها المجتمعية وما يستلزم عليها من اتباع القواعد والحدود المفروضة عليها .

٢- التركيز على ما تفعله السلطة الذكورية داخل المجتمع من إستغلال المرأة ، وتحجيم دورها ، والعمل على إذلالها وإهانتها.

تعتبر قضية المرأة قضية حساسة نظراً للدور العظيم الذى تؤديه داخل المجتمع ، ولاسيما إذا تعلقت قضيتها بالأدب الروائى ، بحيث ينطلق البحث فى موضوعها – المرأة– من قناعة مؤداها أن لافاصل بين الرواية والمجتمع ، وليس بعيد عن الرواة التى برزت عوالم الأنوثة بأشكالها المتباينة ، لتحدثنا عن الزواج ، والحب ، والجنس، والأمومة ، وعدم الإنجاب، وتعدد الزوجات ، والتمرد ، وغيرها من القضايا التى عبرت عنها الرواية النسائية :-

١- الزواج :-

يعد الزواج سنة الحياة،وفطرة فى نفوس البشر،وهو أساس أى مجتمع من المجتمعات، ووسيلة للحفاظ على النوع البشرى ،فالزواج رباط مقدس له أعراف وتقاليد تتباين من مجتمع لآخر ،ومن الأشياء التى تهدد هذا الزواج حزن المرأة ومعاناتها ،وكذلك تعدد الزوجات ،كما أن عقد الزواج هو بمثابة ملك خاص للزوج، أي لا يجوز للمرأة أن تتزوج بأكثر من رجل ، وبالتالى لا يعتبر عقد الزواج ملكاً خاصاً بالمرأة ،بمعنى يسمح للرجل الزواج بأكثر من امرأة ، لأن الرجل صاحب القرار الأول والأخير داخل الأسرة ، وقراره غير قابل للجدال ، وفى أغلب الأحوال تقابله المرأة بالقبول تارة والرفض تارة أخرى ، ولكنها لاتستطيع إبداء رأيها لأنها مجبرة لا مخيرة

،فالعادات المجتمعية تحث على تزويج المرأة من الخاطب الأول ، دون الإعتبار برأى صاحبة الشأن ، ولاحتى إبداء رغبتها حتى تنطبق عليها طقوس مؤسسة الزواج التقليدى ، فتتبلور آلام المرأة ومعاناتها فى حياتها المستقبلية مع زوج لاشيء يجمعها به غير قرار عائلى عنيف.

يشكل وجود الرجل والمرأة داخل المجتمع كياناً إنسانياً متماسكاً ، فالإنسان يماثل بعملة ذات وجهين متناغمين :الأول يمثل وجه الرجل ،والثانى يمثل وجه المرأة ، فالرجل ولد من رحم المرأة ، والمرأة أخذت من ضلع الرجل فتحدد قيمة الإنسان من خلال تواجد الرجل والمرأة معاً داخل الأسرة ، ولكل منهما شخصيته وكيانه وهويته وفرديته ، ولا يستطيع أحداً إهدار كرامتهم لحساب الآخر، ومن الأفضل ألا تتوغل أيديولوجيات الأهمية والأفضلية لنوع على نوع آخر[٣٦].

ترى النسوية أن الزواج هو عقد تمليك تفقد فيه المرأة ملكيتها لنفسها وتسلمها للزوج، وفي ظل قوانين الزواج يملك الرجل لا المرأة فحسب، ولكنه يملك أطفالها أيضًا، وقد تجلت هذه الأفكار فى روايات " ذاكرة الجسد " ،و"فوضى الحواس" ، و" عابر سرير" فى الصور الآتية :-

أ- أن الرجل والمرأة يكونان مع بعضهما البعض أسرة ، حيث يتمتع الرجل بسلطة مطلقة، و صاحب جميع القرارات داخل الأسرة ، أما المرأة فهى تابعة له فى جميع أفعاله ،ولاتملك حرية التعبير عن رأيها ، بالإضافة إلى ذلك لايهتم الرجل بزوجته ولايعطيها من وقته الضئيل كما يوجد في رواية "فوضى الحواس"على لسان "حياة":"زوجي الذّي لم يكن له من وقت ، ليحاول فهمي، ولا كان يدري ماذا يجب أن يفعل بي، وهو يراني أنغلق على نفسي كمحار، قرر أن يبعث بي إلى العاصمة لأرتاح بعض الوقت على شاطئ البحر، حتى مرور تلك الزوبعة، وكانت تلك أجمل فكرة خطرت في ذهنه منذ زمن بعيد، وهدية القدر التي ... لم أتوقعها" [٣٧].

٢- توالى حضور العلاقات الزوجية المعطوبة، ولاسيما فى روايتى " فوضى الحواس" ، و"ذاكرة الجسد" ، حيث تكشف البطلة "حياة" فى رواية "فوضى الحواس" عن عطب العلاقات الزوجية المنتشرة فى هذه الفترة فى قولها :"البدء نحن ندري مع من تزوجنا ثم كلما تقدم بنا الزواج لا نعود ندري مع من نعيش"[٣٩].

٣- ترصد رواية " ذاكرة الجسد" الزواج بأنه مُعْضِلَة ينبغى الخروج منها ، ومشروع محكوم عليه بالإخفاق والفشل،وأنها جعلت المقبلة على الزواج يصابها شعوراً مثل المحكوم عليه بالسجن أو الإعدام مدى الحياة ، ولذلك تعمدت البطلة "حياة" على خيانة زوجها ،باتخاذ أحد المصورين الصحفيين عشيقاً لها ، حتى تتخلص من الفراغ والوحدة والإكتئاب التى سادت حياتها ، ولاسيما أنها لم تتزوجه عن حب ، وإنما بهدف نسيان عدد من رهانتها الفاشلة مع الحياة وتعبر عن زواجها بأنه مجرد هروب من الواقع ، ولذلك تقول :" أنا لا أرتبط به .. أنا أهرب إليه فقط من ذاكرة لم تعد تصلح للسكن بعدما أثثتها بالأحلام المستحيلة والخيبات المتتالية"[٤٠]، وبالتالى فإن

فشل المرأة لرهان كل من الزواج والحب يضخم تأزم وضعها الاجتماعى،ويزيد من معاناتها النفسية،مما يجعلها تعيد النظر فيما حولها ،ولاسيما علاقتها بالرجل والمجتمع فى نفس الوقت.

٤- تنظر رواية "عابر سرير" إلى الزواج بشكل سلبى ، وترصد مدى المعاناة والآلم التى تتعرض لها الزوجات فى مجتمع ذكورى لايهتم بهن ، فالزوجة تعيش حالة من الخضوع والإستسلام نحو قرارات الزوج ، ولذلك تقول " أحلام مستغانمى" على لسان البطل "خالد":" ذات مرة تأملت من ثقب الباب...فرأيته يدخل مع امرأة بملاءة سوداء، عندما أخبرت زوجة أبي بذلك بدت مندهشة،... ولكن اكتشافها لم يغير شيئا من تصرفاتها، فهي لم تجرؤ حتّى على اخباره بأنّها تدري بأنّه يكذب عليها، خشية أن يغضب ويعيدها إلى أهلها، فتستبدل بشرف الزواج من أحد وجهاء فسنطينة مذلّة أن تكون رقما في طوابير المطلقات"(٤١).

٥- تعيش الزوجة حياتها فى مجتمع تغريه المظاهر على حساب أحزانها وهمومها ، حيث تقول "حياة" فى رواية " فوضى الحواس" :" أتذكر صديقة لى .. كان زوجها مغرما بالشقراوات وكان يزعجها أن تطاردها الألسن هامسة دائما . لقد رأينا زوجك صحبة الشقراء فقامت المسكينة بصبغ شعرها، لا أملا في إغرائه أو استعادته، وإنّما حتى يبدو للنّاس من بعيد أنّه برفقتها، وكأن المهم في هذه الحالات إنقاذ المظاهر" (٤٢).

وفى أغلب الأحوال تتعرض المرأة للعديد من أنماط الظلم والقهر من جانب الرجل ، بعد أن كانت تمثل السيدة والسائدة فى فترة الأمومة ،كما ترسخ فى الأذهان العديد من الأيديولوجيات غير المنطقية عن المرأة مثل " إن النساء ناقصات عقل ودين"، فتشّ عن المرأة وراء كل جريمة يرتكبها الرجل"، "أن الشيطان تلميذ المرأة" ،" قد يكون الشيطان رحيما بالرجل مقابل المرأة "،وهذه الأيديولوجيات غير المنطقية تتوارثها الأجيال دون أعمال العقل ،وعلى الرغم أن المرأة وجدت معظم المعاونة والمساندة فى الفترة الحالية وفى الفترة الأخيرة على وجه التحديد ، إلا أن العديد من الرجال مازالوا ينظرون إلى هذا الوضح باستغراب ممنّين النّفس بأنّها مجرد سحابة صيف مآلها الانقشاع في القريب العاجل"(٣٨).

وبذلك فقضايا الزواج من وجهة نظر النسوية قد تنظر إلى أن الزّواج الذي لا انسجام روحيّ فيه يمكن أن يجعل المرأة تبقى عانسًا، حتّى وإن تزوّجت ، واختلفت معها في بعض الحالات قد يكون اللجوء للزواج التقليدي هربا من قصة حب فاشلة وفي ذلك خطأ كبير قد يحول دون نجاح هذا الزواج ، كما يفرض على المرأة وتجبر عليه ، وتوافقت معها فى أنه نادرًا ما ترفض المرأة الزواج، بل إنها تسعى إلى الزواج المصير الوحيد المقبول لها اجتماعيًّا. فالمرأة لا تختار بين الزواج أو عدم الزواج، ولكنها يجب أن تتزوج، وإلا فإن المجتمع لن يقبلها ولا يحترمها، وفوق كل ذلك لا يعتبرها امرأة طبيعية، وكانت صورة موازية لأفكار النسوية فى أن الزواج من العلاقات الاجتماعية المقدسة التى تربط بين الرجل والمرأة ، أساسه الحب والتكافؤ

والتفاهم والإحترام المتبادل لبناء مجتمع حضارى، ومخالفة فى أنه مهما قدست المرأة الحب والعلاقة الزوجية ، تجلى الرجل غير ملتزم بقيد الزواج، فقد أقام علاقات عديدة مع نساء كثيرات ، خارج نطاق الزواج ، رغم حبه لزوجته ،إلا أنه لم يتردد فى خيانتها .

٢- الحب :-

لقد احتلت تيمة الحب - ان جاز التعبير - مكاناً هاماً فى الروايات النسائية ، فنجد الروائيات يتناولن هذه القضية بأسلوب تلميحى بعيداً عن الجرأة إلى حد ما، ولاسيما وأن الحديث عن الحب يمثل فضيحة أخلاقية فى المجتمع العربى بصفة عامة،وبالرغم من ذلك فإن المرأة الكاتبة تتناولها فى نصوصها الروائية ، مما يبرز المكانة المُبَجَّلة التى يحظى بها فى حياتها ، وخاصة وهى تعتبره مرادفاً للحرية .

ومن هذا المنطلق توصف الكاتبة " أحلام مستغانمى " فى رواية " ذاكرة الجسد" شخصية أخرى تناقض الشخصية العربية معلنة رفضها من خلالها ، وهذه الشخصية تدعى " كاترين" ، وهي امرأة غربية شقراء طالبة في مدرسة الفنون الجميلة، تسكن في الضاحية الجنوبية لباريس، وقد كانت صديقة بطل رواية " ذاكرة الجسد " خالد بن طوبال، وترمز الكاتبة " أحلام مستغانمى" إلي شخصية "كاترين" إلى نمط الحياة الغربى فى فرنسا ، والمتميزة بأجواء الحرية المطلقة الخاوية من جميع القيود والضغوطات المفروضة من قبل الأعراف والعادات والتقاليد والأديان والمجتمعات ، يقول خالد :" قلت وعيناك تنظران لامرأة يطغى شقار شعرها على اللوحة ولايترك مجالاً للون آخر سوى حمرة شفتيها غبر البريئتين "[٤٣]،وكانت كاترين طالبة فى مدرسة الفنون الجميلة ، حيث كانت ذلك اليوم نموذجاً لرسم موديل نسائى عار ، ولكن "خالد" ركز على وجه " كاترين " أثناء رسمها دون التركيز على جسدها العارى كما فعل زملائه ، يقول خالد:" ولكن ريشتى التى تحمل رواسب عقد رجل من جيلي ، رفضت أن ترسم ذلك الجسد ، خجلاً أو كبرياء لا أدرى ..بل راحت ترسم شيئاً آخر ، لم يكن النهاية سوى وجه تلك الفتاة كما يبدو من زاويتى"[٤٤].

ومن هنا أرادت الكاتبة "أحلام مستغانمى" أن تغيير النظرة القديمة التى ألصقتها الثقافة بالجسد عندما فضل " خالد" رسم رأس "كاترين" أمام الطلبة فى قاعة الرسم " فوجئت وهى تقف أمام لوحتى ، بأننى لم أرسم سوى وجهها"[٤٥] ، ونلاحظ أن الكاتبة "أحلام مستغانمى" أرادت تلخص جسد الأنثى فى عقلها الذى أبعدته الثقافة عن جسدها ، فهى تحاول إثبات أن الأنثى يمكن أن تفكر وتتعلم وتبتكر وسط مجتمع ذكورى حصر الاختراع والابداع ناحيته ، بحجة أن المرأة خلقت لتربية الأولاد وتلبية متطلبات واحتياجات أسرتها ، كماجعلت الكاتبة " أحلام" من خالد هنا رجلاً يفهم المرأة ويحتوى أنوثتها ، وبسبب هذه اللوحة أقامت علاقة غيرشرعية بين "خالد " و"كاترين" ، يقول خالد:" لم أتوقع أن تكون تلك اللوحة البريئة ، سبباً بعد ذلك فى علاقة

غبر بريئة دامت سنتين "[٤٦]. ، وهنا لاتخجل "كاترين " أن تفصح عن أحاسيسها ومشاعرها منذ أول لقاء جمعها فى مرسمه ، يقول خالد:" وأنا أستعيد جملة كاترين ، وهى تستسلم لى فى ذلك المرسم ، وسط فوضى اللوحات المرسومة ، واللوحات البيضاء المتكئة على الجدران ، وتقول لى بإشارة متعمدة :هذا مكان يغرى بالحب .. فأجبيتها بشئ من الواقعية ..لم أكن أعرف هذا قبل اليوم "[٤٧].،ورغم تلك العلاقة التى جمعت بينهما ، إلا أن "كاترين" تخجل أن يراها الناس مع رجل عربى مبتور الذراع ، ولكنها تمارس حريتها فى بيته ، يقول خالد:" كانت تحب أن تلتقى بى ،ولكن دائماً فى بيتى أو بيتها ، بعيداً عن الأضواء، وبعيداً عن العيون، هنالك فقط كانت تبدو تلقائية فى مرحها وفى تصرفاتها معى .ويكفى أن ننزل معاً لتناول وجبة غداء فى المطعم المجاور،ليبدو عليها شئ من الارتباك والتصنع ، ويصبح همهما الوحيد أن تعود إلى البيت"[٤٨].

وعلى هذا الأساس وصفها "خالد" بأنها شخصية أنانية تحب ذاتها ، ولايهمها سوى إشباع رغبتها ، ولذلك لم يستطع "خالد" أن يجعلها حبيبته التى يحس معها بالطمأنينة والراحة ، بل اعتبرها مجرد نزوة وعشيقة يقيم معها علاقته لاشباع شهوته ،وتعويضه عن الحنان الذى فقده منذ موت والدته ، وفى نفس الوقت قضائه على الوحدة المؤلمة فى فرنسا ، يقول خالد:" أنها امرأة كانت دائماً على وشك أن تكون حبيبتى ، وأنها هذه المرة – كذلك – لن تكونها ! إن امرأة تعيش على "السندويتشات " هى امرأة تعانى من عجز عاطفى ، ومن فائض فى الأنانية ..ولذا لايمكنها أن تهب رجلاً ما يلزمه من أمان "[٤٩].،ومن الصعوبة أن تقوم النساء بتخطى العادات والتقاليد والقيود من أجل تحقيق أهدافها وإثبات ذاتها ، فالمرأة العربية مَأْسُورة مهما إصطنعت الحرية والانفتاح ، فأى امرأة قادرة أن تقيم علاقة مع رجل يجمع بينهما الجسد والفن كما حدث بين خالد وكاترين ، فيقول خالد : "فلاشئ كان يجمعنى بهذه المرأة فى النهاية ،سوى شهوتنا المشتركة وحبنا المشترك "[٥٠].

أما بالنسبة للبطلة "حياة / أحلام" ابنه "سى الطاهر" ، وهى الشابة الجزائرية التى وقع "خالد" فى حبها عاشت حالة الحرمان واليتم وفقدان الحنان والأمان بعد استشهاد أبيها ،حيث يقول خالد :" كان جرحى واضحاً وجرحك خفياً فى الأعماق . لقد بتروا ذراعى ، وبتروا طفولتك. اقتلعوا من جسدى عضواً .. وأخذوا من أحضانك أباً . كنا أشلاء حرب .. وتمثالين محطمين داخل أثواب أنيقة لاغير "[٥١]. ، وهى البنت الأولى لصديقه وقائده فى النضال "سى الطاهر" الذى أوصاه بتسجيل ابنته "حياة" فى دار البلدية ، فهى كانت من مواليد ١٩٥٧م " ها هى حنين لوحتى الأولى ، وجوار تاريخ رسمها (تونس٥٧) توقيعى الذى وضعته لأول مرة أسفل لوحة. تماماً كما وضعته أسفل اسمك ، وتريخ ميلادك الجديد ، ذات خريف من سنة ١٩٥٧، وأنا أسجلك فى دار البلدية لأول مرة "[٥٢].

ولذلك رأى "خالد " فى الرسم ملجأه المفقود حتى أصبح فناناً مبدعاً فى فرنسا ، وبدأ فى إنشاء المعارض الخاصة به والتى عرض فيها رسوماته على الجمهور ، وفى أحد المعارض التى أقامه بباريس لاحظ "حياة" التى وقع فى حبها مباشرة ، حيث وصفتها رواية "ذاكرة الجسد" على لسان "خالد" ، يقول :" لم تكونى جميلة ذلك الجمال الذى يبهر ،ذلك الجمال الذى يخيف ويربك . كنت فتاة عادية ، ولكن بتفاصيل غير عادية ، بشر ما يكمن فى مكان ما من وجهك .. ربما فى جبهتك العالية وحاجبيك السميكين والمتروكين على إتدارتهما الطبيعية . وربما فى ابتسامتك الغامضة وشفتيك المرسومتين بأحمر شفاه فاتح كدعوة سرية لقبلة .أو ربما فى عينيك الواسعتين ولونهما العسلي المتقلب "[٥٣]. ، كما أعجب "خالد" بشعرها:"كان شعرك الطويل الحالك ، ينفرط فجأة على كتفيك شالاً غجرياً أسود"[٥٤]. ، كما كان لصوت "حياة" إيقاع مميز على مسامع "خالد" ، حيث يقول :" وصوتك ..آه من صوتك كم كنت أحبه ..من أين جئت به؟أى لغة كانت لغتك ؟أى موسيقى كانت موسيقاك"[٥٥]. ، وأيضاً كان إسمها له أثر كبير فى حياة "خالد" " وربما كان اسمك الأكثر استفزازاً لى ،فهو مازال يقفز إلى الذاكرة قبل أن تقفز حروفه المميزة إلى العين "[٥٦].

ولذلك وجدت "حياة" فى "خالد" الذاكرة الماضية التى تكمن فى فحواها الحديث عن أبيها "سى الطاهر" ، كما وجدت حنان الأب الذى فقدته لعدة أعوام باعتبارها أكبر سناً منها وصديق أبيها " كنت هنا أعرض عليك أبوتى ، وكنت تعرضين على أمومتك .أنت الفتاة التى كان يمكن أن تكون ابنتى ، والتى أصبحت دون أن تدرى ..أمى !"[٥٧]. ، حيث أن اللقاءات المتعددة بينهما تؤسس على معرفة أبيها "سى الطاهر " من خلال ذاكرة "خالد" ، ثم تتطورت العلاقة بينهما بسرعة إثر قبلة جمعتهما في مرسمه، على الرغم من فارق السن " ولكن أيعقل أن تكون أنت الطفلة التى رأيتها لآخر مرة فى تونس سنة (١٩٦٢) غداة الاستقلال ، عندما رحت أطمئن عليكم كالعادة "[٥٨].

كما أعجبت " حياة" بـ "زياد" صديق "خالد" وتعلقت بيه عندما كنت تقرأ دواوينه وأشعاره ولاسيما أنها تحب قراءة الرواية والشعر " كان واضحاً أن زياد كان يشعر أننى أحبك بطريقة أو بأخرى .ولكنه لم يكن يعى جذور ذلك الحب ومداه . ولذا كان ينساق إلى حبك دون تفكير ودون شعور بالذنب . لم يكن لأحدنا وعى كامل لينتبه إلى أن العشق اسم ثنائى لا مكان فيه لطرف ثالث . ولذا عندما حولناه إلى مثلث ، ابتلعا كما يبتلع مثلث "برمودا" كل البواخر التى تعبره خطأ"[٥٩]. ، وهذه طريقة "حياة" تحب متى أرادت وتكره متى أرادت ، وبالرغم من حبها لـ "خالد" تزوجت رجل آخر وتتصرف بأسلوب غير متوقع ، فبعد زواجها تتصل بـ "خالد" لتعترف له بأنها مازالت تحبه بقولها :" خالد ..أحبك..أتدرى هذا؟ وانقطع صوتك فجأة ،ليتوحد بصمتى وحزنى ، ونبقى هكذا لحظات دون كلام . قبل أن تضيفى بشئ من الرجاء :خالد..قل شيئاً .. لماذا

لاتجيب ؟ قلتت لك بشئ من السخرية المرة: لأن رصيف الأزهار لم يعد يجيب .. هل تعنى أنك لم تعد تحبنى؟"[٦٠]،ومن الناحية الأخلاقية تعد "حياة" خائنة لبيتها وزوجها.

أما بالنسبة لعلاقة البطلة "حياة/ أحلام" بـ "خالد" فهناك فرق شاسع بين العلاقتين ، حيث كانت حياة خائفة أن يراها عمها أو أى شخص يعرفها ، كما أنها مقيدة مع "خالد" ، فهى لم تقم معه علاقة جنسية ، حتى أنهما افترقا وتزوجت أحد السياسيين لشهرته وكثره ماله ، ولكن لوكانت " كاترين " الحلم لتزوجها بسهولة ، فكانت " كاترين" تحدد العلاقة مع الرجل الذى تريده ،وتحدد ميعاد اللقاء ومكانه على عكس "حياة " التى مكثت هادئة ولم تبوح بمشاعرها ، وبالتى ظلت علاقتها بـ"خالد" مجهولة لا نعرف إذا كانت تحبه أو لا ، كما أنها لم تخجل من ذراعه المبتور لأنها كانت تراه رجلاً يعوض حنان والدها ، بينما أفصحت " كاترين" بمشاعرها تجاه "خالد"، فالجرأة التى تتسم بها " كاترين" لا تتلائم مع عادات المجتمع العربى وتقاليده، يقول خالد :" انك تملكين اليوم أكثر من نسخة.عقلى على جدرانك ذاكرتى حتى لو كانت ذاكرة مضادة لقد كنت أيضاً طرفاً فيها "[٦١]،ومن الجدير بالذكر أن شخصيتنى "كاترين" و"حياة" قد تلاعبت بـ "خالد" ، فهن من كتبن قصتهن معه وهن من حددن العلاقة ، وهذا يدل على هيمنة الأنوثة على الذكورة.

وأيضاً تحاول "أحلام مستغانمى" فى رواية " فوضى الحواس " الجزء الثاني من الثلاثية أن تنقل لنا صورة المرأة القوية ، متحدية بذلك المجتمع والنظرة التقليدية لفن الرواية، وقدرة المرأة على التعبير ومدى الحرية المتاحة لها ، حيث تلتقى الكاتبة "البطلة" ، وهى امرأة ذات عاطفة جياشة، وهى متزوجة، من رجل ينتمي إلى رجال السلطة، بالصدفة بأحد معارفها القدامى وكان رجل غامض يدعى "صاحب المعطف" مجهول الهوية ويتمتع بفلسفة غريبة وفوضوية في طريقة حياته، وحاولت إتخاذه كمصدر للإلهام حتى تنتهى من كتابه رواياتها ، ولذلك تقول البطلة "حياة" :"فأين العجب فى أن يصبح هذا الرجل كل عائلتى ، ويشغل مكان زوجى ، وأخى ، وأمى .. وكل من يحيطون بي؟!"[٦٢].

وتجدر الإشارة إلى أن المرأة عندما تُحب باخلاص ، فإن هذا الحب يظهر عليها وعلى سلوكياتها والذي يُترجم من خلال عواطفها، فيفيض قلبها بالأحاسيس النبيلة والمشاعر الجميلة ، فهى تولى اهتماماً كبيراً بالأشياء الخاصة بالرجل الذى تحبه كعلاقاته مع عائلته وأصدقائه ، وطبيعة عمله ، كما أنها تسعى من خلال التسامح أن تتخطى العوائق التى قد تصيب علاقتهما ، ولذلك ترى البطلة :"الحب أن تسمحى لمن يحبك بأن يجتاحك ويهزمك ، ويسطو على كل شيء هو أنت. لابأس أن تنهزمى قليلاً .. الحب حالة ضعف وليس حالة قوة "[٦٣].

وهذا يبين حديث الكاتبة "أحلام مستغانمى " عن الحب وفيه بكثير من الخبرة والتوعيه ، إلى الدرجة التى تعتبر الحب " قضية محض نسائية لا تعني الرجل سوى بدرجات متفاوتة من الأهمية"(٦٤). ، فالحب عند "أحلام مستغانمى " هو من أولويات المرأة أنها تستطيع من خلاله إثبات ذاتها وتستشعر وجودها حتى أنها تحب عطر الرجل الذى تعشقه ، ولذلك "يُقال إنّ المرأة تحب استعمال عطر الرجل الذي تحبه"(٦٥). ، أما الحب فى حياة الرجل من الكماليات ، إلا أن الحب أصبح يمثل رهاناً خاسراً بالنسبة لبطلة الرواية النسائية ، إذ تنتهى علاقات الحب إلى الفشل أو الموت كما حدث مع "حياة" ، فقد فقدت "زياد" الذى أحبت بسبب استشهاده هو الآخر في جنوب لبنان.

كما تفصح البطلة "حياة" رواية "ذاكرة الجسد" عن تيمة الحب من خلال فعل الكتابة ، فتقول : "الحب هو ما حدث بيننا، والأدب هو كل ما ثم يحدث لغة ولكن بين ما حدث وما لم يحدث حدثت أشياء أخرى لا علاقة لها بالحب ولا بالأدب فنحن في النتيجة لا نصنع في الحالتين سوى الكلمات.. ووحده الوطن الأحداث ويكتبنا كيفما شاء.. مادمنا حجره.."(٦٦).

٣- الجنس:-

يتجلى الجنس فى العديد من النماذج النسائية بصورة جلية كطريقة للمرأة إلى نسيان همومها وأحزانها الناتجة عن وضعها السيء فداخل المجتمع ، وهو ما تكشف عنه الكاتبة "أحلام مستغانمى" على لسان بطلة روايتها "فوضى الحواس" في قولها عن الجنس: "هو كل ما نملك لننسى أنفسنا"(٦٧). ،كما يعد الجنس الطريقة التى يتجه إليها الرجل للتخلص من الإحساس بالضياع والإغتراب والوحدة،والشعور بانسداد الأفق والموت المترصد .

وكما تتناول الكاتبة موضوع الزواج والحب تناولت موضوع الجنس(الجسد) عن طريق رصد علاقة المرأة بجسدها فى حالة البغضاء كما فى حالة الموافقة لتوضيح رأيها المعارض والرافض للتصور الذكورى للجسد الأنثوى ،والذى يهدف لتحقيق المتعة واللذة فقط ، وهو ما رصدته الكاتبة "أحلام مستغانمي" في قولها على لسان بطل روايتها "فوضى الحواس": "لا مساحة للنساء خارج الجسد. والذاكرة ليست الطريق الذي يؤدي إليهن، في الواقع هناك طريق واحدة لا أكثر..."(٦٨). ، وينصب اهتمام الاتجاه الذكورى بنظرة الرجل لجسد المرأة يعد مصدر لأحزان المرأة وآلامها ولاسيما فى حالة إرغام الجسد على الإستجابة من خلال اغتصاب الرجل للمرأة بشكل أنانى يدرك مدى القسوة والعنف فى العديد من الحالات .

ومن الجدير بالذكر أن الكاتبة تأبى تحول كيان المرأة إلى جسد يمثل مصدر نزوة لايثير فى الرجل إلا شهوته ،ويكره ممارسة طقوس المتعة ، ليؤثرن بدل ذلك آلام الكبت الجسدى الذى

يحاولون تصريفه بأنماط متباينة كالرقص فى طقوس الخضرة ، وهو ما ترصده الكاتبة " أحلام مستغانمى" فى رواية "ذاكرة الجسد" ، فتقول:"تعودت النساء هنا منذ زمن على حمل رغبتهن قنبلة موقوتة، مدفونة في اللاوعي لا تنطلق من كبتها الجنسي إلا في الأعراس عندما تستلم النساء لوقع البندير، فيبدأن الرقص وكأنهن يستسلمن للحب. هكذا تمارس النساء الحب... وهما في قسنطينة"(٦٩)،وقد تتعمد المرأة ترل عالمها الخاص(البيت) والاتجاه نحو الفضاء العام (الشوارع) من أجل التخلص من احتياجات الجسد ورغباته فى حالات اهتياجية ، وهذا ما تبينه "حياة" بطلة رواية "فوضى الحواس" "في الواقع، حيث كنت، حالة من الضجر الجسدي تنتابني كل يوم في توقيت القيلولة وكيفما كان الطقس، يطاردني هذا الإحساس حتى مجيء الغروب، ويضعني كل عصر أمام الأسئلة نفسها. ماذا يفعل الناس أثناء هذا الوقت بوقتهم. وأجسادهم؟ وكيف ينفقون هذه الساعات؟ ولماذا في العصر دون أي وقت آخر، ذبذبات عالية من الشهوة تسيطر على تلك الغرفة النسائية، التي تنتقل فيها النساء بثياب البيت.. متكاسلات.. ضجرات؟"(٧٠).

كما رصدت الكاتبة الجنس وهو مايزاول فى طقوس عشيقة تضج عن عنف المتعة من خلال استخدام الحيل الكلامية التى تعدل علامات تؤكد إمساكهن عن الحديث عن الجنس بشكل علنى ، والى تعد كلام المرأة عن الجنس ممنوعاً ومحظوراً ، لأنه ضمن الوضوعات المسكوت عنها ، وهو ما نمثل به بهذا المقطع من رواية "فوضى الحواس": "زوبعة بحرية ذهبت بأسئلتي وبعثرتني رغوة على سرير الشهوة. كان البحر يتقدم، يكتسح كل شيء في طريقه يضع أعلام رجولته على كل مكان يمر به، مع كل منطقة يعلنها محتلة وأعلنها منطقة محررة كنت أكتشف فداحة خسائري قبلة"(٧١).

وقد أكدت الكاتبة عن رفضها التام لهذا الوضع الرديء للمرأة ،داعية إلى التمرد دون إيجاد البدائل اللازمة لتغيير وضع المرأة إلى الأحسن .وهو ما قالته البطلة "حياة" في رواية "فوضى الحواس" للكاتبة أحلام مستغانمي، في قولها: "الطريقة الصحيحة لفهم العالم، هي التمرد على موقعنا الصغير فيه، والجرأة على تغيير مكاننا وتغيير وضعيتنا"(٧٢)، إلا أن حدوث مثل هذا التغيير يتوقف على مدى ما تملكه المرأة من عزيمة وإرادة ، على أساس أن "النساء أيضا كالشعوب إذا هن أردن الحياة فلا بد أن يستجيب القدر حتى إذا كان الذي يتحكم في أقدارهن ضابط كبير أو دكتاتور صغير في هيأة زوج.."(٧٣)، وكذلك بمدى قدرتها على الفعل بدل الانتظار، لأن "الترقب حالة عبودية"(٧٤).

٤- الأمومة:-

تعد الأم العمود الفقرى داخل الأسرة سواء فى وجود الأب أو فى عدم وجوده، كما أنها صمام أمان الأسرة وأساس ترابطها وتلاحم أفرادها، لما تؤديه من جهد عظيم ودور كبير من أجل تنشئة أبنائها والإعتناء بزوجها وبيتها ، كما تمثل القلب الطيب الذى يحتوى الجميع بمودة وسعادة وحب ،وقد وهب الله عز وجل للأم مهارات لا يقوى عليها الرجل، كالحمل والولادة ثم القدرة على تربية الأبناء وتلبية رغباتهم المتنوعة ،والإشراف عليهم أثناء مرحلة الحضانة ومتابعة دروسهم ومذاكرتهم. كما يبرز دور الأم فى التصدى للأزمات الأسرية ومواجهة مشكلات الأبناء وحتى مشكلات الزوج، فالأم لا تواجه فقط مشكلات أبنائها وتحلها لكنها أيضا مسئولة عن مشكلات زوجها وحلها، وفى كثير من الأحيان يكون رأى المرأة أكثر منطقية ودراية من الرجل ، وبالتالى فإن الأم لها دور لايمكن إنكارها فى حياة الأسرة ، سواء من ناحية تكاملها أو استقرارها أو تربية الأبناء وتعليمهم ومواجهة مشكلاتهم(٧٥) .

وللأم فضل عظيم بالنسبة للمجتمع ، فهي التي تربى وتبنى الأجيال القادمة، وبالتالي تُساعد على بناء مجتمع متناغم ومستقر بسواعد أفراده من خلال تعلم الأبناء منظومة الأخلاق الفاضلة وتعدهم ليكونوا أشخاصًا صالحين في المجتمع، بالإضافة إلى منزلتها العالية في الإسلام فالجنة تحت أقدام الأمهات ، ولذلك وهب الله سبحانه وتعالى الأم مكانةً جليلة وأمر باحترامها والإحسان إليها وبرها، إذ قال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)(٧٦).

ومما تجدر الإشارة إليه أن "أحلام مستغانمى " تحدثت عن الأم ، وانصب اهتمامها على همومها وآلامها ، ولذلك نجدها في رواية "عابر سرير" تتحدث على لسان "ناصر" عن العذاب النفسي الذّي عرفته والدته في زمن المستعمر وما عانته من أجله أيضا حيث يقول "إن العذاب النفسي الذي عرفته أما على يد الفرنسيين أيام كان أبي أحد قادة الثورة الملاحقين،لا يعادل ما تلاقيه في هذا العمر بسببى..تصور أن تتحمل عجوز في سنّها مشقّة السفر لترى ابنها لأن وطنه مغلق في وجهه وعليها أن تختار أتريده ميتًا أو متشرداً"(٧٧)، ونجدها كذلك في رواية "فوضى الحواس" تصف "حياة" الوالدة التي عاشت "خمس سنوات من الزواج .كانت خلالها تسكن في بلد وأبي في آخر. ولم يكن يعود من الجبهة إلى تونس ،إلا مرة كلّ بضعة أشهر، ليقضي معها بضعة أيام لا أكثر يعود بعدها إلى قواعد المجاهدين، حيث كانت تنتظره مسؤولة إدارة العمليات في الشرق الجزائري ذات يوم، ذهب ولم يعد. كان له أخيرا شرف الاستشهاد، ولها قدر التّرمل في العمر الذّي تتزوج فيه الأخريات في الثالثة والعشرين من عمرها خلعت أمي أحلامها...لقد جدت نفسها أمام الأمر الواقع بطفلين صغيرين"(٧٨).

وأيضاً رصدت" أحلام مستغانمى" فى رواية "ذاكرة الجسد" المرأة الحنونة التى تعد الطعام لأولادها" كان لتلك المرأة طريقة واحدة فى الحب ،اكتشفت بعدها أنها طريقة مشتركة لكل الأمهات عندنا . إنها تحبك بالأكل ،فتعد من أجلك طبقك المفضل وتلاحقك بالأطعمة ،وتحملك بالحلويات ، وبالكسرة والرخسيس الذى انتهت لتوها من إعدادها "[٧٩] ، كما تناولت فى معظم أعمالها طبيعة الأم الحاضنة والحنونة التى تمكنت من إعطاء دفء الأمومة لتلك الطفولة البريئة ، فكانت أماً ثانية ، ويتحدث "خالد بن طوبال" عن جدته قائلا :" النّساء جميعهن كن يختصرن في جدتي لأبي، المرأة التي احتضنت طفولتي الأولى مذ غادرت سرير أمي رضيعا وانتقلت للنوم في فراشها لعدة سنوات" [٨٠].

٥- الإنجاب :-

تعد المرأة مجرد وعاء للحمل والولادة فى المجتمع العربى ،حيث يصبح الإنجاب السمة الرئيسية التى تفاضل بها المرأة عن غيرها من النساء، ثم نوعية هذا الإنجاب، فأم البنين أفضل من أم البنات،وهذه النظرة مترسخة فى الفكر العربى منذ قديم الأزل ، وعندما تفقد المرأة هذه الوظيفة فإنها تفقد حياتها المجتمعية وقيمتها الإنسانية ، فهى تتحمل مسؤولية عدم الإنجاب وحدها فى عرف وتقاليد المجتمع ، لأن النسيج المجتمعي لا يتقبل أي امرأة مهما حققت من تفوق ومكانة إذا لم تكن أماً، وما على المرأة سوى أن تقبل كل العقوبات والقيود الاجتماعية .

ومن الجدير بالذكر أن العقم يرد دوماً إلى المرأة ، ويكون من حقّ الرجل بل من واجبه الإستغناء عن هذه المرأة إما من خلال الطلاق أو الزواج من امرأة أخرى ، وهذا ما نذكره فى رواية "ذاكرة الجسد " لأحلام مستغانمى ، حيث ينزعج زوج البطلة "حياة" من تخصيص أوقاتها للكاتبة فقط وعدم تخصيص وقت لزيارة الأطباء لإنجاب طفل ، وتقول البطلة "حياة" أن " زوجى مثلاً...أصبح يبدي انزعاجه من جلوسى لساعات أمام طاولة الكتابة ، بدل تخصيص هذا الوقت لطفل لايأتى ، دون أن يعترف تماماً بأن ما يزعجه ، هو الكتابة فى حد ذاتها .كعمل مواجهة ، ومراوغة صامتة . لم يستطع – برغم إمكانياته البوليسية – التجسس على مصداقيتها .. وبدل أن يواجهنى بحقيقة أفكاره، راح يوجهني من طبيب لى آخر.ويبعث بى من مدينة إلى أخرى ، ليحول الأمومة مشكلتى وقضيتى الأولى "[٨١] ، وهذا يدل على مدى معاناة المرأة آلامها التى حرمت من أبسط الأشياء حتى من عاطفة الأمومة،ومن هنا تبدأ النساء بالبحث عن طرق البقاء والإستمرار فى بيت الزوجية وأولى هذه الطرق هى الإنجاب،وفى حالة تأخر الإنجاب يلجأون إلى الدجالين والمشعوذين والأولياء،ولذلك تقول "حياة" بطلة رواية "ذاكرة الجسد":" لم أعد أذكر كم مرة زرت من الأطباء بتوصيات خاصة،وكم من أضرحة للأولياء أجبرتنى أمى على التبرك بها "[٨٢].

ومن هنا أصبح موضوع عدم الإنجاب أحد شواغل البطلة "حياة" التى بذلت قصارى جهودها بغية الشفاء والتمكن من الإنجاب ، ولكن عندما أخفقت فى الشفاء من عقمها فإنها حولت هذا العقم إلى إخصاب من خلال حبها للكتابة ، مما يعلل اقتران فعل الكتابة لديها بحالات الحب والرغبة والعشق حيث تقول:"أليست الكتابة كالحب هدية ، تجدها فيما لاتتوقع العثور عليها؟"(٨٣). ، كما تبرر البطلة "حياة" بأن فعل الكاتبة هو الملجأ الوحيد للمرأة تعبر فيه عن أمنياتها فى ظل مجتمع غير مستقر من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية، وبدأت الكتابة تحقق لها ما ترغب فيه من تجسيد حالات الحب والعشق بين طرفين ، وأيضاً تقول :" كلما تقدمت بى الكتابة ازدادت قوة عندى ، تلك الحاسة التى تجعلنى منذ اللحظة الأولى ،أحكم على هذه الأشياء أولها بحدس قلماً يخطئ "(٨٤).

٦- تعدد الزوجات:-

يعد تعدد الزوجات شكل من أشكال الزواج يسمح بمقتضاه أن يكون فى عصمة الرجل أكثر من امرأة واحد ،وقد ساد هذا النظام فى مجتمعات مختلفة وخلال فترات تاريخية متباينة ، كما أن الحكمة من هذا النظام هو أن أعداد النساء قد يتعدى أعداد الرجال ولاسيما أثناء الحروب وخوض المعارك ،وبسبب الرغبة فى إنجاب أكبر عدد من الأطفال خاصة الذكور،وقد يكون السبب أيضاً مرض الزوجة أوعقمها ،فالقيمة الاجتماعية للأبناء على اعتبارهم رمز لهيبة الرجل ومكانته ،وقد يستخدم هذا النظام لتقوية العلاقة بين العائلات فى معظم المجتمعات ،وتدعيم صلة القرابة (٨٥).

وقد احتلت قضية تعدد الزوجات مكانة كبيرة فى العديد من الروايات النسائية مما أثر على نفسية المرأة وجسدها وتصرفاتها ،كما حدث مع "حياة" الزوجة الثانية للضابط الكبير ، وضرتها التى شاركته عقدين من حياته ، وأنجبت منه ثلاثة أطفال ، وهذا يوضح مدى خضوع المرأة واستسلامها للوضع القائم ، وعدم قدرتها على تغييره وهذا ما تفصح عنه البطلة "حياة" فى رواية "فوضى الحواس" ، فتقول :"لا أعتقد أنها كانت من الطيبة إلى درجة التحمس لهذا الزواج ولكنها لم تكن شريرة ولا حاولت يوما أن تكيد لي.ثم مع الوقت ولد بيننا شيء من التواطؤ النسائي الصامت بعد أن أدركت كل واحدة منا أنها لا يمكن أن تلغى الأخرى أو تنفرد بامتلاك ذلك الرجل"(٨٦). فإن إحساس "حياة" بوجود ضرتها فى حياة الرجل الذى تزوجته ، كان السبب الرئيسى فى غياب عاطفة الحب والعشق بينهما ، وبالتالى فقدان الجسد عنفوان توجهه ، ليصبح الجنس فعلاً ثابتاً ،وهو ما توضحه "حياة" فى قولها: "صنع جسدي يومها حاجزا لم يستطع زوجي تخطيه رغم ما أوتي من إمكانيات فحولية. ورغم اشتهائي له. شيء في كان لا يطاوعني ويرفض الاستسلام له"(٨٧). ، وهذا يدل على أن عطب الروح يولد عطب الجسد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن "حياة" لم تتردد فى إنشاء علاقة عاطفية مع مصور صحفى التقته فى إحدى المقاهى صدفة ، وأقامت مع علاقة عشقية ، ومارست طقوس الجسد بعنف قبل أن تمتد إلى باريس ، ولاسيما بعد أن خسرت "حياة" رهان الحب والعشق مع " خالدبن طوبال"، ثم مع صديقه "زياد" الشاعر الفلسطينى فى رواية "ذاكرة الجسد" ، وأحست بإخفاقها فر رهان الزواج بهذا الضابط الكبير فى روايتى "فوضى الحواس"،و"عابر سرير" .

بالإضافة إلى أن شعور "حياة" بوجود ضرة فى حياة زوجها أفسد لذة حياته معه، لنلاحظها مع المصور الصحفى فى أكمل صور تكاملها الحسى والشعرى ،رغم كل العواقب المحيطة بها ،وكأنها تنتقم لرهان زواجها ،والثأر من التقاليد والقيم والأعراف المجتمعية التى سلبت هويتها وذاتها ،وهذا يوضح مدى رفضها لكل أشكال السيطرة الخاصة بالمجتمع الذكورى وتحديها لعاداته ،غير أن الكاتبة تخشى من مجابهة سطوة المجتمع الذكورى بضوابط تقاليده ،ونسق قيمه ،منعها أن تجعل إحتجاجها يدرك مداه فى التمرد والتحدى،ولذلك كان التمتع بالمرأة سبب هذه الظاهرة فى روايتى:"فوضى الحواس"،و"عابر سرير".

٧- التمرد:-

يأخذ التمرد ضد القيم الاجتماعية بعداً قاسياً ولاسيما عندما قدمت الساردة بورتريه للرجل الذى تحبه بقوة ، وتمكن من اختراقها ووهبها دورساً فى الحب وفى العشق وفى الإحساس بلآخر ،" هذا الرجل الذى يرسم بشفتيه قدرها ، ويكتبها ويمحوها من غير أن يقبلها "[٨٨]، لهذا اعتبرته " رجل الوقت ليلاً ، يأتى فى ساعة متأخرة من الذكرى .يباغتها بين نسيان وآخر . يضرم الرغبة فى ليلها ..ويرحل ..هو رجل الوقت سهواً . حبة حالة ضوئية .فى عتمة الحواس يأتى يدخل الكهرباء إلى دهاليز نفسها . يوقظ رغباتها المستترة . يشعل كل شئ فى داخلها .. ويمضى "[٨٩]. ، كما تقول الساردة هو الرجل الذى تنطبق عليه،مقولة أوسكار وايلد " خلق الإنسان اللغة ليخفى بها مشاعره"[٩٠]. ، ومن هنا تعتبر "أحلام مستغانمى " أن المرأة تتخلى عن كل شئ من أجل الاحتفاظ بالرجل الذى تعشقه ، ويأخذ الحب بين السارة والرجل " صاحب المعطف الأسود" نمط الحرب الأليمة ، والمتمكن هو من يستطيع انتقاء العبارات المناسبة للحرب بعناية شديدة ، حيث تقول الساردة :"كانت تفاضل بين جواب وآخر،عندما تنبهت إلى أن جلستهما قد أصبحت فجأة معركة عاطفية صامتة .تدار بأسلحة لغوية منتقاةبعناية فائقة، وإذا بالطاولة المربعة التي تفصلهما،رقعة شطرنج، اختار فيها كل واحد لونه ومكانه .واضعا أمامه جيشا.. أحصنة وقلاعا من ألغام الصمت، استعدادا للمنازلة"[٩١].

كما يتجلى التمرد بصورة واضحة فى رواية "فوضى الحواس " لأحلام مستغانمى " فى تحديد موعد من صاحب "المعطف الأسود" للمرأة التى تعشقه لمشاهدة فيلم "حلقة الشعراء الذين اختفوا" فى إحدى قاعات السينما تدعى "أولمبيك" ، وهنا قررت الكاتبة الحضور لهذا الموعد

للتجسس على بطليها ، فهى المرأة الوحيدة فى القاعة ، ولم يكن فى القاعة سوى بعض الرجال،" من الواضح أنها مشتاقة إليه . وإلا فماذا عدا الحب ، يمكن أن يأتى بها إلى هنا ، لتكون الأنثى الوحيدة ، فى قاعة كهذه، لمشاهدة فيلم كهذا؟"[٩٢]،وهذا يدل على مدى الإنطباع بالتمرد والتجاوز على التقليد والإستحواذ ، والتحدى لأنماط الثبات والركود ، والتمركز فى الحياة واللغة والإنسانية والعشق والحب .

ومما لاشك فيه أن صورة التمرد التى تحلت به بطلة رواية " فوضى الحواس" فى خرق حاجز الصمت ، والذهاب إلى مدينة قسنطينة ، فقالت:"كنت أعى تماماً أننى أرتكب حماقة غير مضمونة العواقب.بذهابى بمفردى لمشاهدة فيلم ،فى مدينة قسنطينة،لاترتاد فيها النساء قاعات السينما.فما بالك إذا كانت هذه الزوجة أحد كبار ضباط المدينة،وتصل إلى السينما فى سيارة رسمية،لتجد فى انتظارها جيشاً من الرجال الذين لاشغل لهم سوى التحرش بأنثى ، على قدر كاف من الحرية أو من الجنون ، لتجلس بمفردها فى قاعة سينما "[٩٣]. وهذه إيحاءات من الكاتبة على تجرد الواقع والنجاح للمرأة عن طريق تجربة عشق أخذت منحنى أساسي ومكان لتلاقى الطموحات والأمانى والأحزان .، وتكتشف البطلة " حياة" أنّ الرجل الذي تحبه ليس هو الرجل الذي التقت به في قاعة السينما، وفي أحد الأيام تتفاجأ بخبر اغتياله، وتذهب إلى جنازته بالثوب الأسود الذي ارتدته في أوّل لقاءٍ بينهما في المقهى.

وأيضاً تتكرر صورة التمرد فى موضع آخر من رواية "فوضى الحواس" من خلال وجود الكاتبة فى المقهى ، مقهى الموعد ، حيث تنتظر شخصية بطل قصتها الذى لم تعرف كيف انجذبت إليه،ولاسيما عندما طلبته هاتفياً فقال لها :"انتظرينى هناك.ثم أضاف مستدركاً اختارى لنا طاولة أخرى..فى غير الزاوية اليسرى..وواصل بعد شيء من الصمت ماعدا اليسار مكاناً لنا "[٩٤] ، وعندما ذهبت إلى المقهى وجدته جالس يكتب ، بينما يحضر شخص آخر ينظر إليها بعناية وكأنه على معرفة بها منذ فترة ، ولكن دليلها الوحيد إليه هو العطر فحسب ، لكى تعرفه من بين الناس ، وتتفاجئ أنه يقدم لها السكر الذى طلبته فتأنس إليه وتدخل معه فى مغامرة ليس لها تحليل أو تفسير ، ولاسيما أنها إمرأة متزوجة فيطلب منها أن تذهب معه إلى مكان آخر أكثر هدوءاً ، حيث قال :" فى الحقيقة ..أنا أكره هذا المكان .. وأفضل أن نذهب لتناول شيء معاً فى مقهى آخر ..أيزعجك هذا..؟"[٩٥]، فتوافق على طلبه ،وتستجيب له دون إرادة منها ودون قدرة على تفسير ما يحدث، ودون أن تعرف عنه إلا ما صورته لها خيالاتها القصصيّة ،وبدأ حديثه معها بأن الناس دائماً يسألوننا عن الأشياء التى نمتلكها وليس عما نريد أن نمتلكه ونرغب فيه ، ولذلك قال لها :" تعودت أن أجيب عن هذه الأسئلة بالصمت . فنحن عندما نصمت نجبر الآخرين على تدارك خطتهم "[٩٦] ،فقد لاحظت أنه يعلم الكثير عنها وهى لاتعلم عنه أى شيء سوى ما عرفته من خيالها القصصي، ولذلك قالت :" كان واضحاً أنه يعرف شيئاً عنى

..والمزعج ،أننى لم أكن قد عرفت بعد شيئاً عنه . ولذا قررت أن أواصل التحدى مستعملة طرقه المقلوبة ، فى طرح الأسئلة "[٩٧].

ومن الجدير بالذكر أن الثورة على القيم الاجتماعية يتسم بالتعدد والشمول ، وبقدر ما نلاحظ أن "أحلام مستغانمى " تستقبل القيم الذكورية ورمزيتها وتؤكد على أهميتها وذلك من خلال البطلة ، وفى نفس الوقت نجدها لا تكف عن الكشف عن بنى السلطة الذكورية موجودة فى أسوء الرجال ، ولذلك تقول الساردة عن الرجل الذى جاءت من أجله إلى قاعة السينما "إنه في النهاية، ينتمي إلى السلالة الأسوأ من الرجال، تلك التى تخفى خلف رصانتها ووقارها ، كل عقد العالم وقذارته .كأولئك الذين يجلسون جواز زوجاتهم. بهيبة وصمت . ثم يتركون لأقدامهم حرية مد حديث بذيءتحت الطاولة "[٩٨]. ، وكذلك الحال بالنسبة للساردة متحدثة عن زوجها العسكرى " أوليست النساء كالشعوب يقعن دائما فتنة البذلة العسكرية وسطوتها، قبل أن ينتبهن إلى أنهن بانبهارهن بها، قد صنعن قوتهن؟ صحيح أنه فعل ذلك تدريجيا وبكثيرمن اللياقة، وربما بكثير من التخطيط، وأنني كنت أمضي نحو عبوديتي بمشيئتي ، ومن الأرجح..دون انتباه.سعيدة بسكينتيأو استكانتي اليه.تاركة له الدور الأجمل .دور الرجولة التى تأمر وتقرر وتطالب وتحمي وتدفع وتتمادى"[٩٩]. ، ومن هنا تعد المرأة ضحية لحبها وتشبثها بحبيبها ، فهى تسيطر على كل المناعات التى يفرضها ذهنها ، بل تفعل كل شيء لإغواء الحبيب وإغرائه .

وعلى ذلك يمكن الإشارة إلى أبرز نتائج الدراسة هى :-

١- تعد الرواية نوع من الأنواع الأدبية المهيمنة على الساحة الأدبية ، حيث استطاعت أن تحدث صدى كبيراً في منظومة الثقافة العربية المعاصرة إلى جانب الأنواع الأدبية الأخرى ،كما أنها من الفنون النثرية التى يرتكز عليها الأديب لرصد الواقع الاجتماعى.

٢- ينطوى الأدب النسوى على إشكاليات عميقة مرتبطة بالمرأة – فى مقام أول ؛إنها المنتجة لهذا الأدب بغية التعبير عن رغبتها فى الوجود ،وإثبات ذاتها ، والدفاع عن هويتها المسلوبة، ورفض سلب كيانها ،كما حاولت البحث عن طرق تمكنها من التحرر والخلاص ،فجاء توسلها بالإبداع الأدبى كوسيلة من وسائل تحررها من كافة أنماط القهر المسلطة عليها ،والتعبير عن أحزانها والضغوطات التى تعرضت لها منذ وجودها إلى الآن.

٣- تعتبر الكاتبة "أحلام مستغانمي" خير نموذج للكتابة النسوية، والتى كرست كل طاقاتها الفنية وجهودها لمناهضة العنف بصفة عامة ومناهضة العنف ضد المرأة بصفة خاصة ، فهى تدافع بقوة عن حقوق المرأة على كافة المستويات .

٤- تناولت ثلاثية "أحلام مستغانمى" للعديد من السلوكيات المرتبطة بالتقاليد والأعراف فى المجتمع العربى على وجه التحديد، كما حاولت الدخول في سراديب النفس البشرية، وحاولة تسليط الضوء عليها.

٥- تتحدد الفكرة الأساسية فى ثلاثية "أحلام مستغانمى" والتى لايمكن دحضها أو التشكيك فيها ؛ ألا وهى المرأة وحريتها وكينونتها أولاً وأخيراً . فقد سلطت الضوء على أوضاع المرأة وقضاياها وأفكارها كالحب ،والجنس،والتمرد ،والأمومة ،والانجاب ،والزواج ،وتعدد الزوجات.

٦- رصدت ثلاثية "أحلام مستغانمى" واقع المرأة فى مجتمع مازال متشبثاً بأعرافه وعاداته الأبوية ،ولذلك تمردت الروائية على هذا الواقع من أجل قصة حب وضعها الأدب في طريقها،كما بلورت الرواية أهم سمات المرأة العربية المقيدة بعادات وأعراف المجتمع الذكورى، المتمركز حول قوة الرجل وهيمنته، فالرواية تقدم الرجل بشكل سلبى ،فهو يستغل المرأة ،ويزيد من بؤسها ، ويحاصر أحلامها ،ويمارس عليها العنف ،ويقمع جسدها، ويشوه تمثلاتها لذاتها الإنسانية .

ومن هنا تسوق الباحثة مجموعة من التوصيات أهمها :-

١- توصى هذه الدراسة الكاتبة بالنزول من العاجى التى تسكن فيه إلى الواقع،والإبتعاد عن خطاب الظلم والعنف والتمرد ،لأنه أصبح لا يتناغم مع العالم الذى تمكنت فيه المرأة من تولى المناصب المرموقة داخل المجتمع ،حيث أصبحت المرأة وزيرة وقاضية وسفيرة .

٢- ينبغى أن تتراجع الرواية النسائية عن المكوث طويلاً عند قضايا الجسد والجنس فحسب ، اللذين أضحى وكأنهما الشغل الشاغل للمرأة ، إذ أن هذه الرواية ، ليست هى تلك الرواية النعبرة عن التقدم والحرية والطموح ، فأساس الحرية ، إنما من خلال التكيف مع المجتمع ، ورصد قضاياه المتنوعة بصفة عامة ، وقضايا المرأة بصفة خاصة.

٣- تفعيل دور وسائل الإعلام للحد من إبراز المرأة باعتبارها مجرد جسد ، وأيضاً وضع برامج توعية يقدمها المختصون فى شتى المجالات لإبراز حدود المرأة داخل المجتمع حتى تتبين الصورة الخاصة بالمرأة .

٤- يجب على الكاتبة أن تركز اهتمامها بقضايا المرأة الواقعية ، وحثها على عدم إغفال القيم والأعراف والتقاليد السائدة فى المجتمع .

المراجع :-

١) رنا عبد الحميد سلمان الضمور ، الرقيب وآليات التعبير فى الرواية النسوية العربية ، جامعة مؤتة ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ٢٠٠٩، ص١.

٢) سهام أبوالعمرين ، الخطاب الروائى النسوى ، دراسة فى تقنيات التشكيل السردى ، سلسلة كتابات نقدية ، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،٢٠١١، ص ص ٢٦ -٣٢.

٣) نقلاً عن : محمد سعيد فرح ، تغير مكانة المرأة فى الأدب النسائى المصر ، مجلة فصول : مجلة النقد الأدبى، المجلد (٣/٢٥) ، العدد ٩٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ربيع ٢٠١٧، ص ٥٢٦.

٤) نقلاً عن : ليندا جين شيفرد ، أنثوية العلم . العلم من منظور الفلسفة النسوية ، ترجمة : يمنى طريف الخولى ، عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ٢٠٠٧ ، ص ١١.

٥) نقلاً عن : ميسون محمود الشباب ، اللغة النسوية فى رواية" فوضى الحواس " لأحلام مستغانمى ، المجلة الأردنية فى اللغة العربية وآدابها ، جامعة مؤتة ، عمادة البحث العلمى ، المجلد ٩، العددالاول ، ٢٠١٣ ، ص ص ١١٦ -١١٧.

٦) نقلاً عن :سارة جامبل ، النسوية ومابعد النسوية ، ترجمة أحمد الشامى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص١٤.

٧) Davdow, Ellen Messer, Disciplining Feminism: From Social Activism to Academic Discourse Duke University, 2002, P:26

٨) نقلاً عن :مارتن غريفيثس ، تيرى أوكالاهان ، المفاهيم الأساسية فى العلاقات الدولية ، مركز الخليج للأبحاث ، دبى ، ٢٠٠٢، ص٤٢٢.

٩) Quillen, Carol, Feminist Theory: Theory, Justice and the Lure of the Human, Journal of Women in Culture and Society, Signs, Vol.27, No.1, Autumn, 2001, P:85

١٠)نقلاً عن: بحرى دلال ، النظرية النسوية فى التنمية ، مجلة المفكر ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة محمد خيصر بسكرة ، العدد ١١، ص٧٠.

١١)ريان فوت ، النسوية والمواطنة ، ترجمة :أيمن بكر ، سمر الشيشكلى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص٥٩.

١٢)نقلاً عن:سماحية خضار ، عبدالرحمن مزيان ، الأدب النسوى :إشكالية مصطلح :أدب بين الاعتراف والرفض ، مجلة (لغة ،كلام) ، المركز الجامعى احمد زبانة بغليزان ،مخبر اللغة والتواصل ، العدد٨، ٢٠١٩، ص ٦٤.

١٣)نقلاً عن: ابراهيم خليل ، فى الرواية النسوية العربية ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، الأردن ،ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص٣.

١٤)نقلاً عن: رشيدة بنمسعود ، المرأة والكتابة :سؤال الخصوصية / بلاغة الاختلاف ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٢ ، ص٦٨.

١٥)نقلاً عن :يمنى العيد ، الرواية العربية : المتخيل وبنيته الفنية ، دار الفارابى ، بيروت، ط١، ٢٠١١ ، ص١٣٧.

١٦)نقلاً عن: مجدى وهبه ، كمال المهندس ، معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١، ١٩٨٤ ، ص١٨٣.

١٧)نقلاً عن : محمد حسن عبدالله ، الواقعية فى الرواية العربية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١، ص ١٠٧.

١٨)نقلاً عن :سامى يوسف أبو زيد ، الأدب العربى الحديث ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٥ ، ص ٢٠٩.

١٩)نقلاً عن : طه الوادى ، صورة المرأة فى الرواية المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٤٥.

٢٠)نقلاً عن : ممدوح محمود حامد ، الرواية وأثرها فى النقد الأدبى ، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص٣.

٢١)نقلاً عن :عاطف أحمد فؤاد ، علم اجتماع الأدب ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩، ص ٨٢.

٢٢) مصطفى عبد الغنى ، الاتجاه القومى فى الرواية العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥، ص ١٤.
٢٣) حسين المناصرة ، النسوية فى الثقافة والإبداع ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠٠٨ ، ص ١.
٢٤) عثمان واصل ، النظرية النسوية وإشكالية المصطلح ، المجلس الأعلى للغة العربية ، اللغة العربية ، العدد ٢٦ ، ٢٠١١، ص ص ٤٠-٤١.
٢٥) هدى الصدة ، أصوات بديلة :المرأة والعرق والوطن فى العالم الثالث ، ترجمة : هالة كمال ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ، القاهرة، العدد (٥٠٢) ، ٢٠٠٢ ، ص ص ١٥-١٦.
٢٦) بام موريس ، الأدب والنسوية ، ترجمة : سهام عبدالسلام ، المشروع القومى للترجمة ، العدد ٤٧٤ ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٠.
٢٧) حسن محمد حسن (وآخرون)،علم اجتماع الأسرة،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ٢٠٠٤ ، ص٤٥.
٢٨) غادة علي موسى، في خطاب المؤسسات النسوية العربية: نماذج من مؤسسات رسمية اهلية ، أوراق ندوة " حقوق الانسان في الخطاب السياسي والحقوقى المعاصر فى الدول العربية "، اللجنة الوطنية لحقوق الانسان ، الفترة من ١١-١٢ مايو، ٢٠٠٨م ، قطر ، ص١٠.
٢٩) جانييت تود ، دفاعا عن التاريخ الأدبى النسوى، ترجمة : ريهام حسين ابراهيم ،المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، العدد ٣٨٦ ، ٢٠٠٢، ص ٥٩.
٣٠) عدلى السمرى ، الخلع : دراسات فى علم الاجتماع ، دار النصر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٢، ص ص ٣٦ -٣٧.

٣١) هناء إبراهيم رزق ،المرأة وصراع الأدوار فى المجتمع المصرى: دراسة فى علم اجتماع الأدب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم الاجتماع ، ٢٠٠٦.
٣٢) همت بسيونى عبد العزيز ، الأدب النسوى ومشاركة المرأة فى المجال العام :دراسة اجتماعية لبعض النماذج الروائية النسائية المصرية ، مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة المنيا ، كلية الآداب، المجلد٨٢، العددالاول ، يناير ٢٠١٦.
٣٣) نادية بن طاجين، عبد القادر بوزيدة ، تمثلات العنف الأبوي في الرواية النسوية العربية المعاصرة : نماذج مختارة ، ألف : اللغة، و الإعلام و المجتمع ،جامعة الجزائر ٢ أبو القاسم سعد الله ،كلية اللغة العربية و آدابها و اللغات الشرقية، الجزائر ،المجلد ٧،العدد ٣، ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٠،ص ١١ ، ١٢، ٢٦.
٣٤) أسماء الصمايرية ، قضايا المرأة فى الأدب النسوى وصراعاتها :دراسة تطبيقية على رواية الأسود يليق بك لأحلام مستغانمى ، مجلة المجمع ، أكاديمية القاسمى ، مجمع القاسمى ، العدد ١٦ ، ٢٠٢١، ص ١ ، ص٢٠ ، ص٢١.
٣٥) عاليه مبارك حسين علي ، تشكيل صورة المرأة فى روايات نجيب محفوظ:(ميرامار ، زقاق المدق، سمارة الأمير) نموذجاً ، مجلة كلية الآداب بقنا ، جامعة جنوب الوادي ، العدد ٥٤، الجزء الأول ، يناير٢٠٢٢ ، ص ١٨٥ ، ص ٢١٦.
٣٦) مايكل نبيل: سيكولوجية الأسرة : الرجل - المرأة - تربية الأبناء، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٤م، ص ١١
٣٧) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس ،دار الآداب ، بيروت ،ط٥، ١٩٩٨ ، ص ١٣٦.
٣٨) محمد حسن غانم، مدخل إلى سيكولوجية المرأة: قضايا واستشكالات نفسية -اجتماعية - دينية - اقتصادية ، إيتراك للطباعة والنّشروالتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠، ص ص ١٣-١٤.
٣٩) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس ، مرجع سابق ، ص٦٠
٤٠) المرجع نفسه، ص ٢٧٦.
٤١) أحلام مستغانمى ، عابر سرير ، منشورات أحلام مستغانمى ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٣، ١٧٤.
٤٢) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس ،مرجع سابق ، ص ١٦٥.
٤٣) المرجع نفسه، ص٩٣.
٤٤) المرجع نفسه، ص٩٤.
٤٥) أحلام مستغانمى ، ذاكرة الجسد ، دار الآداب ، بيروت ،ط١٥، ٢٠٠٠ ، ص٩٤.
٤٦) المرجع نفسه ،ص ١٥٨.
٤٧) المرجع نفسه ،ص ١٥٨.
٤٨) المرجع نفسه ، ص ٧١.
٤٩) المرجع نفسه ، ص٧٦.
٥٠) المرجع نفسه ،ص ٧٧.
٥١) المرجع نفسه ،ص ١٠٢.

٥٢) المرجع نفسه ، ص٦٤.
٥٣) المرجع نفسه ، ص ٥٤.
٥٤) المرجع نفسه ، ص١٧٢.
٥٥) المرجع نفسه ، ص١٢٠.
٥٦) المرجع نفسه ، ص٢١.
٥٧) المرجع نفسه ، ص١١٨.
٥٨) المرجع نفسه ، ص ٥٦.
٥٩) المرجع نفسه ، ص ص ٢١١- ٢١٢.
٦٠) المرجع نفسه ، ص ٣٧٦.
٦١) المرجع نفسه ،ص ٣٧٨.
٦٢) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس، مرجع سابق ، ص ٢٧٥.
٦٣) المرجع نفسه ، ص ٢٦١.
٦٤) المرجع نفسه ، ص ٩٤.
٦٥) المرجع نفسه ، ص٢٦٣.
٦٦) أحلام مستغانمى ، ذاكرة الجسد ، مرجع سابق ، ص ٥٥.
٦٧) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس ، مرجع سابق، ص٣٠١.
٦٨) المرجع نفسه ، ص٦٢.
٦٩) أحلام مستغانمى ، ذاكرة الجسد ، مرجع سابق ، ص ٦٣.
٧٠) أحلام مستغانمى ، فوض الحواس ، مرجع سابق ، ص١٧٦.
٧١) المرجع نفسه ، ص٢٨٨.
٧٢) المرجع نفسه ، ص٥٦.
٧٣) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس ، مرجع سابق ، ص٢٥٣.
٧٤) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس ، مرجع سابق ، ص١٤٥.
٧٥) جيهان إمام ـ هند مصطفى عبدالغنى، بر الوالدين من أعظم القربات :الأم المثالية صمام أمان الأسرة ، جريدة الأهرام ، العدد ٤٨٦٨٢ ، الجمعة ٢٥ من رجب ١٤٤١ هـ ٢٠ مارس ٢٠٢٠ ،السنة ١٤٤ .
٧٦) سورة الإسراء ، الآية ٢٣.
٧٧) أحلام مستغانمى ، عابر سرير ، مرجع سابق ، ص ١٩٤.
٧٨) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس ، مرجع سابق ، ص ص ١٠١-١٠٢ .
٧٩) أحلام مستغانمى ، ذاكرة الجسد ، مرجع سابق ، ص ١٠٧.
٨٠) أحلام مستغانمى ، عابر سرير ، مرجع سابق ، ص ص ٤٦ -٤٧.
٨١) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس، مرجع سابق ، ص ٩٦.
٨٢) المرجع نفسه ، ص٩٦.
٨٣) المرجع نفسه، ص ٢٤.
٨٤) المرجع نفسه ، ص٢٥.
٨٥) موسى شتيوى، منير كرادشة ،تعدد الزوجات :محدداته وآثاره فى المجتمع الأردنى : دراسة تحليلية ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الأردن ، المجلد ٤٢، العدد٢ ،٢٠١٤، ص٣٣٥.
٨٦) أحلام مستغانمى ، فوضى الحواس ، مرجع سابق ، ص٣١١.
٨٧) المرجع نفسه، ص ٣١١.
٨٨) المرجع نفسه، ص١٠.
٨٩) المرجع نفسه ، ص١٠.
٩٠) المرجع نفسه ، ص ١١.
٩١) المرجع نفسه ، ص٢١.
٩٢) المرجع نفسه ، ص ٤٨.
٩٣) المرجع نفسه ، ص ٤٥.
٩٤) المرجع نفسه ، ص ١٤.
٩٥) المرجع نفسه ، ص٧٢.
٩٦) المرجع نفسه ، ص٧٩.
٩٧) المرجع نفسه ، ص ٨٢.
٩٨) المرجع نفسه ، ص٥٠.
٩٩) المرجع نفسه ، ص ص ٣٧ -٣٨.